الخطاب القرآني
في آيات حب الله تعالى للمحسنين
دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

د/ فاطمة رجب حسانين الباجوري

أستاذ مساعد بقسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية

والعربية بنات القاهرة، جامعة الأزهر.

الخطاب القرآني في آيات حب الله تعالى للمحسنين

دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

فاطمة رجب حسانين الباجوري.

قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهره، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني f-ragb.57@azhar.edu.eg :

الملخص :

هذا بحث علمي لغوي قرآني، يختص بآيات حب الله تعالى للمحسنين في القرآن الكريم. يهدف البحث إلى: دراسة خطاب الله عز وجل لعباده في آيات حب الله للمحسنين في ضوء علم اللغة النفسي .وقد قمت بتحليل الآيات القرآنية، إلى مستويات اللغة: الصوتية، والصرفية، والتركيبية، مستخرجة دلالات هذه المستويات على ترتيبها من كتب: الأصوات، والمعاجم، والنحو والصرف، والتفسير، وعلوم القرآن، داعمة هذه المعاني بما فتح الله به علي في فهم الآيات الكريمات.واستخدمت في تحليل الآيات القرآنية: المنهج الوصفي، الذي يصف اللغة ويحللها إلى مستوياتها المختلفة. وقد أسفر البحث عن عدد من النتائج أهمها:توضيح أن الوحدات الصوتية المستعملة في آيات حب الله للمحسنين ، ساعدت بما لها من إيحاءات على استجلاء أثر اللفظة في التركيب، ومن ثم أثر التركيب في النص، ومن ثم أثر هذا النص في النفس البشرية. التدليل على أثر الصيغة الصرفية في التركيب، وأن الصيغة الخارجة عن القياس، قد تستعمل مع المعنى الخارج عن المألوف كما في: (التهلكة).توضيح أن تنوع التراكيب في الخطاب القرآني

بين الخبر والإنشاء، يقوي النص ويزيد من قوة تأثيره على نفسية القارئ مما يساعد المتلقي على الامتثال لأوامر الخطاب وتجنب نواهيه، فيحصل المراد من توجيه السلوك نحو الاتجاه الصحيح.

الكلمات المفتاحية : الخطاب الديني،آيات حب الله، المحسنين، علم اللغة النفسي .

The Quranic Discourse In The Verses Of The Love Of God Almighty To The Benefactors Analytical Study in The Light Of Psycholinguistics

Fatma Ragab Hassanen

Department Of Origins of Language Department. Faculty of Islamic and Arabic Studies For girls, Cairo, Al-Azhar University, Egypt.

Email: f-ragb.57@azhar.edu.eg

Abstract:

This is a Scientific linguistic Quranic research ,specializes in the verses of the love of god to the benefactors in the Quran , aims to: study the speech of god almighty to his slaves in the verses of god's love for the benefactors in the light of psychological linguistics. I have analyzed the Quranic verses ,to the levels of language : phonetic , morphological , and syntactic , extracted the significance of these levels , according to their order on the books of sounds , dictionaries, grammar and morphology , interpretation , and the science of the Quran , supporting these meanings with god's generosity that helps me to understand these holy verses . I have used on the analysis of Quranic verses: the descriptive method, which describes the language and analyzes it to its different levels. The research has a number of results, the most important of them are: that the research showed that the audio units that is used in the verses of god's love for the benefactors , with their inspiration , helped to clarify the effect of the word in the composition , and the effect of the composition in the text , and then the impact of this text in the human soul .it also declared that the effect of the morphological formula in

the composition , it showed also that the formula which is outside the measurement , may be used with the meaning which is outside the ordinary as in: (Destruction). The research explained that the diversity of structures in the Quranic discourse , whether declarative or structural strengthens the text and increases the power of its impact on the psychology of the reader , that helps the recipient to comply with the commands of the discourses and avoid its prohibition and then , the behavior is directed towards the right direction.

Keywords: Religious Discourse, Verses of the love of god, Benefactors, psycholinguistics.

المقدمة

الحمد لله تعالى الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على أفضل خلقه ورسله، الذي بلغ عن ربه الكتاب ليكون هدى للمتقين،وأنار به لنا الطريق لنكون من المحسنين . فنكافأ بحب الله تعالى ، فهو غاية المتقين، ورجاء المتوكلين،وأمل المحسنين.

وبعد

فهذا بحث علمي لغوي قرآني، يختص بآيات حب الله تعالى للمحسنين في القرآن الكريم .

وقد قصدت به خوض غمار علم اللغة التطبيقي، ومحاولة تطبيقه على أقدس النصوص اللغوية مكانة، وأسماها شرفا (القرآن الكريم) .

فقد بات لزاما على الباحثين في علوم اللغة في الآونة الآخيرة، أن يتجهوا صوب الدراسات اللسانية التطبيقية بفروعها المختلفة؛ لتحديث الأبحاث العلمية لتكون مواكبة للتقدم العلمي الكبير .

وقد وقع اختياري على فرع من فروع علم اللغة التطبيقي وهو : علم اللغة النفسي؛ سيرا على منهج الموسعين لدائرة اختصاص علم اللغة التطبيقي، وعدم قصره على تعلم اللغات وتعليمها فقط، وهو مذهب المضيقين .

ولعل اختياري لهذا الفرع دون غيره جاء لتناسبه الكبير مع مضمون الآيات القرآنية المدروسة ؛ ثم مع المقصد العام لهذه الآيات، وهو الترغيب والتحفيز والحض على القيام بالأعمال الواردة في السياق، لعظم المكافأة وجزيل الثواب.

والحق أنهما مكافأتان لا مكافأة واحدة، الأولى هي: الحصول على صفة: (المحسن)، والثانية: الحصول على حب الله تعالى؛ لأن الله تعالى يحب كل من يتصف بهذه الصفة من المسلمين .

وهدفي من هذا البحث دراسة خطاب الله عز وجل لعباده في آيات حب الله للمحسنين؛ للتعرف على مدى تأثيره على النفس البشرية، وتوجيه السلوك الإنساني إلى الطريق الأقوم.

لذلك كان عنوان البحث: **{ الخطاب القرآني في آيات حب الله تعالى للمحسنين دراسة تحليلة في ضوء علم اللغة النفسي}.**

وقد حاولت من خلال هذا البحث أن أجيب عن الأسئلة الآتية :

ـ أولا : الأسئلة العامة :

١ـ هل لآيات حب الله لعباده مقاصد معينة؟

٢ـ هل هناك تناسب بين آيات حب الله للمحسنين في القرآن الكريم؟

٣ـ ما الحكمة من خطاب الله تعالى عباده المحسنين بصيغة اسم الفاعل؟

ثانيا : الأسئلة التخصصية :

١ـ هل للوحدة الصوتية (الفونيم) إيحاءات دلالية؟

٢ـ هل إيحاءات الوحدة الصوتية (الفونيم) ثابتة وملازمة للصوت، أم أنها تخضع للسياق الصوتي المحيط بها؟

٣ـ هل الوحدة الصرفية (المورفيم) في القرآن الكريم، تأتي دائما لمعنى واحد لا يتغير، أم أنها تأتي لأكثر من معنى لتناسب السياق الواردة فيه؟.

٤ـ هل تعددت وتنوعت الوحدات التركيبية الواردة في الآيات القرآنية بما يتناسب مع الحالة النفسية للمخاطبين؟

وأخيرا السؤال الرئيس:

ـ هل خطاب الحب من الله تعالى لعباده في القرآن الكريم له تأثير في توجيه السلوك الإنساني ؟

وجاءت آيات حب الله للمحسنين في القرآن الكريم في خمسة مواضع: موضع في سورة البقرة، واثنان في آل عمران، واثنان في المائدة. وثلاثتها سور مدنية، من طوال القرآن الكريم؛ لأن الإحسان لا يأتي إلا بعد ترسيخ العقيدة أولا في قلوب المؤمنين.

كما جاءت جميع السياقات الخمسة متصلة ومترابطة، وكلها في مقام الترغيب، وحث النفس البشرية على الإتيان بأعمال تكاد تكون زائدة عن الفروض المكتوبة، لذلك فهي تعد من قبيل الإحسان .

وقد قمت بتحليل الآيات الخمس، إلى مستويات اللغة : الصوتية ، والصرفية، والتركيبية، مستخرجة دلالات هذه المستويات على ترتيبها من كتب: الأصوات، والمعاجم ، والنحو والصرف، والتفسير، وعلوم القرآن، داعمة هذه المعاني بما فتح الله به عليَّ في فهم الآيات الكريمات.

وقد كان المنهج المتبع في تحليل الآيات القرآنية هو المنهج الوصفي، الذي يصف اللغة ويحللها إلى مستوياتها المختلفة.

وجاءت خطة البحث في قسمين على النحو التالي:

القسم الأول: المقدمات النظرية .

واشتمل على ما يلي:

أولا: الخطاب القرآني وحب الله للعباد.

ثانيا: القرآن الكريم والنفس البشرية.

ثالثا: علم اللغة النفسي، والسلوك الإنساني.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية

واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موضع سورة البقرة.

المبحث الثاني: موضعا سورة آل عمران .

المبحث الثالث: موضعا سورة المائدة.

وختم البحث بخاتمة بها أهم النتائج، تلتها: المراجع ، ثم فهرس الموضوعات.

وإني لأرجو أن يكتب الله تعالى لهذا العمل القبول في الأرض والسموات، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يحشرني وإياكم مع عباد الله المحسنين، إنه سبحانه وتعالى خير مسئول .

الباحثة

القسم الأول: المقدمات النظرية .

وجاء فيه :

أولا: الخطاب القرآني وحب الله للعباد.

ثانيا: القرآن الكريم والنفس البشرية .

ثالثا: علم اللغة النفسي، والسلوك الإنساني.

القسم الأول: المقدمات النظرية .

أولا :الخطاب القرآني و حب الله للعباد:

تعريف الخطاب القرآني:

المقصود بالخطاب:

ورد في أساس البلاغة: "خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام"[١]

وفي المصباح: "خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا وَهُوَ الْكَلَامُ بَيْنَ مُتَكَلِّمٍ وَسَامِعٍ وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْخُطْبَةِ بِضَمِّ الْخَاءِ "[٢]

والخطاب القرآني : "هو كلام الله موجها في معظمه إلى من شهدوا نزول القرآن بشكل خاص مباشر للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبشكل عام لسائر الناس"[٣].

ـ تعريف الحب:

ورد في العين " أحبَبْته نَقيض أبغضته."[٤]

---

١ ـ أساس البلاغة للزمخشري (خ ط ب) {الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط. الثالثة . ١٩٨٥م }

٢ ـ المصباح المنير للفيومي (خ ط ب) { المطبعة الأميرية . بالقاهرة . ط . السابعة ١٩٣٨م }

٣ ـ الخطاب القرآني وأنواعه ، دراسة بلاغية د/ خالد داد ملك ،ص ٦٠ جامعة بنجاب لاهور ، باكستان ، عدد ٢٢ سنة ٢٠١٥

٤ ـ العين للخليل بن أحمد الفراهيدى (١٧٥هـ) تح / د / مهدى المخزومى . د/ إبراهيم السامرائى .تص / ١ / أسعد الطيب . (ح ب ب) {انتشارات أسوة . ط .الأولى .١٤١٤هـ}.

وفي المحكم : " الحُبُّ: الوداد، وكذلك الحِبُّ... والمَحَّبةُ أيضا: اسْمٌ للحُبَ.والحِبابُ: الحُبُّ... والحِبُّ: المحبوب، وكان زيد بن حارثة يُدْعَى حِبّ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلَّم. والأنثى بالهاء.... والحَبيبُ والحُبابُ: الحِبُّ، والأنثى بالهاء "[1]، و"رباط المحبَّة: عامل عاطفيّ يجمع بين شيئين أو أكثر"[2]

ـ مقاصد حب الله للعباد:

لا يخفي على ذي لب أن غاية كل مسلم في حياته كلها هو أن ينال رضا الله تعالى، وحب الله ـ تعالى ـ لعباده ، من أكبر الأدلة على رضا الله تعالى؛ لذلك رغَّب الله . سبحانه وتعالى . عباده في حسن العمل مقابل حبه لهم، فتنافس الناس على العمل الصالح رغبة في الحصول على حب الله. وتَحَقق وعد الله تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦} (مريم)

روى الطبري" عن مجاهد في قوله :(سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦) قال: يحبهم ويحببهم إلى خلقه "[3]

---

١ ـ المحكم والمحيط الأعظم لأبى الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ) تح / عبد الحميد هنداوي (ح ب ب) . { دار الكتب العلمية .بيروت سنة ٢٠٠٠م}

٢ ـ معجم اللغة العربية المعاصرة .د أحمد مختار عبد الحميد عمر ج ١ ص ٤٣١(ح ب ب) {عالم الكتب .ط . الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م } .

٣ ـ جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جريرأبي جعفر الطبري ج ١٨ ص ٢٦٢ {تح /أحمد محمد شاكر .مؤسسة الرسالة .ط .الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م }

ـ أهل محبة الله في القرآن الكريم :

الـذين صـرح القـرآن الكـريم بحـبهم سـتة هـم : المحسـنون، المتطهـرون، المتقون، الصابرون، المتوكلون، المقسطون .

وبالتأمل نرى أن الصيغ جميعا جاءت على وزن (اسم الفاعل الجمع)، ماعدا آية واحدة، هي الآية الأخيرة[1] في هذه الآيات التي بلغ عددها ست عشرة آية .

وهذا من أسرار القرآن الكريم التي سنحاول بمشيئة الله بيانها .

ولبيان ذلك نسوق قول عبد القاهر الجرجاني في تفريقه بين دلالة الاسم ودلالة الفعل حيث يقول : « إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء ، فإذا قلت: (زيد منطلق) ، فقد أثبت الانطلاق فعلا له، من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: (زيد طويل) و(عمرو قصير) ، فكما لا تقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط ، وتقضي بوجودها على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك: (زيد منطلق) لأكثر من إثباته لزيد، وأما الفعل

[1]ـ هي الآية الرابعة في سورة الصف { إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ٤}.

فإنه يقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت: زيد هاهو ذا ينطلق، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً، وجعلته يزاوله ويُزجِّيه "[1].

يتضح مما سبق أن اسم الفاعل قد يفيد الثبوت والدوام كالصفة المشبهة، وهذا ما يتناسب مع سياق الآيات ، فإن الذين يستحقون حب الله تعالى هم الذين أصبحت صفات الخير- كالإحسان، والتقوى، والتوكل،والصبر، والعدل - صفات لازمة لهم لاتنفك عنهم أبدا، ثم إنَّ الله تعالى مَنَّ على عباده باستغراق كل من اتصف بهذه الصفات بالدخول في محبته، فأدخل على الصفات (ال) التي للاستغراق .

وقد رتبتهم حسب أولية ذكرهم في القرآن الكريم، واكتفيت بدراسة آيات حب الله للمحسنين، على أن أتبع هذه الدراسة بدراسات أخرى لباقي آيات حب الله لعباده، مراعية ترتيب الذكر في القرآن الكريم، لعل هذه الدراسة، والدراسات التي ستتبعها تكشف عن وجه حكمة هذا الترتيب الذي ورد في القرآن الكريم .

- المحسنون :

جاء في مختار الصحاح : "وحَسَّن الشيءَ تحسِيناً زَيّنَه. وأحْسَن إليه وبه، وهو يُحْسِن الشيءَ أي يَعْلَمه ويَسْتحسنه أي يَعُدّه حَسَناً. والحَسَنة ضدّ السَّيّئة. والمَحَاسِن ضِدّ المساوِي. والحُسْنَى ضدّ السُّوءى"[2]

١- دلائل الإعجاز ، تح / محمود محمد شاكر ص ١٧٤ {الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مهرجان القراءة للجميع سنة ٢٠٠٠م }.

٢- مختار الصحاح . لزين الدين بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (٦٦٦هـ) تح/ يوسف الشيخ محمد (ح س ن)، {المكتبة العصرية ، بيروت صيدا ، ط .الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م }.

وفي المصباح :

"أَحْسَنْتَ فعلت الحَسَنَ ، كما قيل أجاد إذا فعل الجيد، وأَحْسَنْتَ الشيء: عرفته وأتقنته."[1]

والإحسان : " إفعال من الحُسْن، وهو كلّ مُبْهج مرغوب فيه، عقلاً، أَو حسّاً، أَو هوىً "[2].

والإحسان على نوعين: "الإحسان في عبادة الخالق. والإحسان إلى المخلوق، فالإحسان في عبادة الخالق فسرها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[3]

وأما الإحسان إلى المخلوق، ففسرها السعدي بقوله : "هو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم،

١ـ المصباح المنير (ح س ن)

٢ـ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى : ٨١٧هـ) ج ٢ ص ٦٧ { تح /محمد علي النجار . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م }

٣ـ الحديث رواه أبو هريرة ، ينظر: صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي . تح: د. مصطفى ديب البغا ج ١ ص ٢٧{ دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت .ط. الثالثة ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م}.

فيدخل في ذلك بذل الندى وكف الأذى، واحتمال الأذى ... فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق عبيده "[1].

"والإحسان أعم من الإنعام. فالإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطى ما عليه، ويأخذ ماله، والإحسان أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له"[2] ..

وقد بدأ الله حبه لعباده بالمحسنين؛ لأن " الإحسان من أَفضل منازل العبوديّة؛ لأَنه لبُّ الإيمان ورُوحُه وكمالُه"[3]

ـ مواضع آيات حب الله لعباده المحسنين :

وردت آيات حب الله للمحسنين في ثلاث سور (البقرة، آل عمران، المائدة) وثلاثتها سور مدنية[4]

١ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي .تح : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص ١٤٨{ مؤسسة الرسالة .ط : الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م } .

٢ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٤ هـ) ج ٤ ص ١٠٩ {تصدير :محمود محمد شاكر. دار الحديث، القاهرة}.

٣ ـ بصائر ذوي التمييز ج ٢ ص ٤٦٥

٤ ـ والعلماء في معرفة المكي والمدني على ثلاثة اصطلاحات:

أحدها: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة

والثاني: وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة.

والثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة وعليه يحمل قول ابن مسعود الآتي لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخوطبوا بأيها الناس وإن ==

بإجماع آراء العلماء[١]، فسورة البقرة "أول سورة نزلت بعد هجرة النبيّ صلَّى الله عليه وسلم إلى المدينة"[٢]، وسورةُ المائدة "نزَلَتْ دَفْعَةً واحدةً لا مُقسَّمةً"[٣] وهي: "آخر القرآن تنزيلا"[٤]

ولعل في تحديد نوع الآيات من حيث المكي والمدني ما يفيد في:

" تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله، فإن لكل مقام مقالًا، ومراعاة مقتضى الحال من أخص معاني البلاغة، وخصائص أسلوب المكي في القرآن والمدني منه تعطي الدارس منهجًا لطرائق الخطاب في الدعوة إلى الله بما يلائم نفسية المخاطب، ويمتلك عليه لُبّه ومشاعره، ويعالج فيه دخيلته بالحكمة البالغة، ولكل مرحلة من مراحل الدعوة

==

كان غيرهم داخلا فيها وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا بأيها الذين آمنوا وإن كان غيرهم داخلا فيهم. ينظر البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ج ١ ص ١٨٧ {دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط. الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م }.

١ـ ينظر : السابق ج ١ ص ١٩٤

٢ ـ بصائر ذوي التمييز ج ١ ص ١٣٣

٣ ـ مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) ج ٢ ص ١٠٨{ مكتبة المعارف – الرياض . ط. الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م}.

٤ ـ فضائل القرآن لأَبُي العَبَّاسِ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنُ المُعْتَزِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ المُسْتَغْفِرِ بنِ الفَتْحِ ابنِ إِدْرِيْسَ المُسْتَغْفِرِيُّ، النَّسَفِيُّ (ت: ٤٣٢هـ) تح: أحمد بن فارس السلوم ج٢ ص ٥٤٢

{ دار ابن حزم . ط. الأولى، ٢٠٠٨ م}

موضوعاتها وأساليب الخطاب فيها، كما يختلف الخطاب باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم وأحوال بيئاتهم، ويبدو هذا واضحًا جليًّا بأساليب القرآن المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشركين والمنافقين وأهل الكتاب"[1].

وعلم اللغة النفسي يفيد من استحضار خصائص البيان القرآني النازل في مكة، والنازل في المدينة؛ ليبصر البعد النفسي للغة الخطاب في كل حقبة؛ ليكون من ذلك منهجا في حسن توظيف اللغة توظيفا يستثمر الأحوال النفسية للمخاطبين.

ثانيا : القرآن الكريم والنفس البشرية .

لا ينكر أحد ما للقرآن الكريم من بلاغة وإعجاز لغوي، فقد شهد له الأعداء قبل الأتباع، وقد صور لنا الخطابي أثر القرآن على سامعيه قائلا :" في إعجاز القرآن وجهًا آخر ... وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوما ولا منثورا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها؛ فكم من عدو للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن، فلم

---

١ ـ مباحث في علوم القرآن لمناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ) ص ٥٩ {مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .ط. الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م}

يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته ، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيمانا "[1]

إذا كان هذا هو الأثر النفسي للقرآن الكريم على جميع سامعيه مسلمين وغير مسلمين، بجميع خطاباته الترهيبية والترغيبة، فما بالكم إذا كان الخطاب خطابا ترغيبيا من الله تعالى لعباده بألفاظ حب صريحة يوجهها لعباده مباشرة كقوله تعالى :{ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ }البقرة، وقوله: { إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩}الحجرات، والممتحنة (٨)، وغير ذلك من المواضع الذي ذكر فيها حب الله لعباده .

وقد قررت الدراسات اللغوية النفسية أن "لكل كلمة من الكلمات مضمونا منطقيا ومضمونا أو ارتباطا نفسيا. والمضمون المنطقي، وهو المعنى الذي ينص عليه القاموس في الأغلب، يكون الاشتراك في فهمه واحدا أو شديد التقارب، ولكن المضمون أو الارتباط النفسي يختلف من متكلم لمتكلم اختلافا كبيرا، ولا يمنع هذا من أن يشترك جمهور المتكلمين باللغة في طائفة كبيرة من إيحاءاته ومما يرتبط به من ظلال المعاني "[2].

---

١ ـ بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ) ص ٧٠ { مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تح /محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام .دار المعارف بمصر .ط . الثالثة، ١٩٧٦م }

٢ ـ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي . محمود السعران ص ٢٢٦{ دار الفكر العربي ط – الثانية . القاهرة ١٩٩٧م } وقارن بـ: في علم اللغة العام د/ عبد العزيز علام ص ١٧٣ { مكتبة المتنبي . الدمام .المملكة العربية السعودية . ط. الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م }

ولا يشك شاك مطلقا في أن لفظ (الحب) من الألفاظ الذي يشترك في فهم معناه جميع المتكلمين باللغة، وأن له في النفس البشرية أثرا كبيرا؛ لما يحمله من معنى راق جميل؛ لذا أمرنا ديننا بالحب وحث عليه، لما له من أثر في تعضيد العلاقات بين الناس جميعا.

ـ ففي علاقة الوالدين بأبنائهم لابد من وجود الحب، وإلا لما استطاعا تحمل المشاق والصعاب من أجل إسعادهم.

ـ وفي علاقة الزواج لابد من الحب، قال الله تعالى:{ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ } (سورة الروم)

" عن ابن عباس قال : المودة حب الرجل امرأته ، والرحمة رحمته إياها أن يصيبها بسوء"١

ـ وفي علاقة الإنسان بزملائه وأصدقائه ومن يعاملهم لابد من الحب . فعن "رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– [إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ إِيَّاهُ]٢

---

١ ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تح/ هشام سمير البخاري ج ١٤ ص ١٧{ دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية .ط: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م}.

٢ ـ روى الحديث: الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ، وورد في سنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي تح/ أحمد محمد شاكر وآخرين ج ٤ ص ٥٩٩ حديث رقم ٢٣٩٢ { دار إحياء التراث العربي – بيروت}

ويشرح المباركفوري هذا الحديث قائلا:" لِأَنَّهُ إِذَا أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ اسْتَمَالَ قَلْبَهُ، وَاجْتَلَبَ وُدَّهُ، فَبِالضَّرُورَةِ يُحِبهُ فَيَحْصُلُ الِائْتِلَافُ وَيَزُولُ الِاخْتِلَافُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ "١

ولم يقف الأمر عند ذلك، ولكن جاء على لسان نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضا مايدل على أن الحب هو رسالة الإسلام ،"فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: " لاَ تَدْخُلُون الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَى تَحَابُّوا، أَفَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ"٢

وهذا إن دل، فإنما يدل على أن رسالة الإسلام هي الحب، ولن نصل إلى الحب إلا بالسلام ونشره وإفشائه بين جميع خلق الله.

ولما لهذه الكلمة من أثر عجيب على النفس البشرية؛ استخدمها الله سبحانه وتعالى مع عباده المحسنين،والصابرين، والمتقين، والمتطهرين .... إلخ

---

١ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت ١٣٥٣هـ) ج ٧ ص ٦٠ { دار الكتب العلمية – بيروت }.

٢ ـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي ج ١ ص ٧٥{ دار إحياء التراث العربي – بيروت }

ثالثا: علم اللغة النفسي ، والسلوك الإنساني

ـ علم اللغة النفسي[1] :

إن مصطلح علم اللغة النفسي يدل دلالة واضحة على التداخل الكبير بين علمين مختلفين هما: علم اللغة، وعلم النفس، وبما أن علم اللغة يقوم على تحليل اللغة إلى مستوياتها المختلفة: " يهتم علم النفس اللغوي بالظواهر اللغوية، حيث تناول علماء النفس في نظرياتهم السيكولوجية في السلوك اللغوي، دراسة تلك الظواهر "[2]

١ ـ ورد في كتب علم اللغة مصطلحان لهذا العلم،هما : علم اللغة النفسي ، وعلم النفس اللغوي، وقد اعتبرهما بعض العلماء مصطلحين مترادفين، وهناك من فرق بينهما من وجهين: ١ـ أن مصطلح علم النفس اللغوي، أسبق في الظهور من من مصطلح علم اللغة النفسي. ٢ـ علم النفس اللغوي يعد فرعا من فروع علم النفس، وعلم اللغة النفسي فرع من فروع علم اللغة . وعليه: فعلم النفس اللغوي يهتم بعلم نفس اللغة، فيدرس: اللغة بوصفها مكونا من المكونات النفسية، كالذكاء والذاكرة ، والانتباه والخوف، وعيوب النطق والتعلم، وتحديد وظائفها في السلوك. أما علم اللغة النفسي فيهتم بالتفسير اللغوي للعمليات العقلية ذات العلاقة بفهم اللغة واستعمالها واكتسابها، كما يهتمون بالبحث في أثر القيود النفسية على فهم اللغة واستعمالها .ينظر علم اللغة النفسي د/ عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي ص ٢٨، ٢٩ بتصرف { جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عمادة البحث العلمي . ط. الأولى : ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م }.

٢ـ علم النفس اللغوي د/ نوال محمد عطية . ص ١٥ { مكتبة الأنجلو المصرية ط. الأولى ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م }.

ـ بين علم اللغة وعلم النفس :

والعلاقة بين علم اللغة وعلم النفس: " فرضت نفسها على العلماء والباحثين في مجال الدراسات اللغوية، والسبب في ذلك: أن اللغة هي المرآة التي تنعكس عليها ظروف المتكلمين بها وأحوالهم النفسية، فعلماء النفس يهتمون بالسلوك الإنساني ليوضحوه بصفة عامة، وعلماء اللغة يهتمون به ليوضحوا السلوك اللغوي بصفة خاصة، وتظهر هذه العلاقة في مجال التحليل النفسي، والظواهر اللغوية تكشف عن حقائق نفسية تتعلق بحياة الأفراد والشعوب؛ لأن اللغة هي المعبر عن خلجات نفوسهم"[١]

ولدراسة أي رسالة من مرسل إلى سامع في ضوء علم اللغة النفسي فإنه يراعى ما يلي:[٢]

١ ـ أن تكون الرسالة ذات معنى .

٢ ـ ومن هنا يمكن للسامع أن يستقبل الرسالة، وهكذا تقوم عملية الاتصال بين المرسِل الذي ينتج الرسالة ويعبر عنها ، والمستقبل الذي يتلقى الرسالة أو يستقبلها .

٣ـ استخدام نظام شفري لغوي، يقوم أساسا على عملية انتقال الرسالة بين كل من المرسل والمستقبِل .

٤ـ معرفة المستقبِل بالنظام الشفري الذي يستخدمه المرسِل .

---

١ ــ دراسات في علم اللغة الحديث ص ٨٧ { مطبعة الأفصى . الطبعة الأولى، ٢٠١١م}

٢ ـ السابق ص ١٥ ، ١٦ بتصرف .

ويهتم عالم اللغة ـ في هذا النظام الشفري ـ بتحديد الوحدات التي تدخل في تركيبه، والقواعد التي تربط بين هذه الوحدات بعضها ببعض .

بينما يهتم عالم النفس بالعمليات التي تحدث لدى المستقبل حين يستقبل الرسالة، أي عملية اكتساب النظام الشفري، وإدراك الرسالة.

ـ وظيفة اللغة من وجهة نظر علماء النفس :

يرى السلوكيون من علماء النفس "أن الوظيفة الأساسية للغة هي محاولة الوصول إلى أعماق شعور الجماهير، والتأثير في الناس وإقناعهم بالرسالة التي توجه إليهم، ودفعهم إلى عمل سلوكي معين "[١]

فاللغة لها فعل كبير في توجيه السلوك الإنساني فهي " من أقوى الأسلحة النفسية للسيطرة على الأفكار "[٢]

ـ منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة في ضوء علم اللغة النفسي، والذي يعد فرعا من فروع علم اللغة التطبيقي؛ لذلك سأحاول إيضاح أثر كل من: عالم اللغة، وعالم النفس في فهم لغة كتاب الله تعالى.

سأحلل النص القرآني إلى وحداته: الصوتية، والصرفية، والتركيبة، ثم أقوم ببيان أثر هذه الوحدات المختارة على النفس البشرية، ومدى فعلها في تنشيط، السلوك الإيجابي وتحفيزه لدى المخاطبين بها .

---

١ ـ علم اللغة بين القديم والحديث د/ عاطف مدكور ص ١٣ { دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٦م }

٢ ـ السابق ص ١٤

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية

واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موضع سورة البقرة.

المبحث الثاني: موضعا سورة آل عمران .

المبحث الثالث: موضعا سورة المائدة.

المبحث الأول: موضع (سورة البقرة)

قال الله عز وجل :{ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ }.

أولا : سبب نزول الآية :

أصحُّ ما قيل في هذا أن: " أَبَا أيوب الأنصاري ... قال: نزلت فينَا معاشرَ الأنصار، لمَّا أعزَّ اللهُ دِينَهُ، قُلْنا – سِرَّاً مِنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَم – إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، فلو أَقَمْنَا فِيها وأصلَحْنا مِنها ما ضَاعَ، فأنزلَ اللَّهُ في كتابه، يردُّ علينا ما هممنا به: { وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ } فكانت التَهْلُكَةُ فِي الإِقَامَةِ، التِي أردْنَا أنْ نُقِيمَ في أمْوالِنا ونُصْلِحْها، فأُمِرْنا بالغَزْو"[1].

ثانيا: معنى الآية الكريمة :

ذكر الطبري عدة معانٍ لهذه الآية منها :

" قال ابن زيد في قوله: { وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ } قال: إذا لم يكن عندك ما تنفق، فلا تخرج بنفسك بغير نفقة ولا قوة: فتلقي بيدَيك إلى التهلكة .... قال آخرون: بل معناه: أنفقوا في سبيل

١ـ معاني القرآن للنحاس تح محمد علي الصابوني ج ١ ص ١١٠، ١١١{ جامعة أم القرى – مكة المكرمة ط: الأولى، ١٤٠٩هـ } ،وقارن بأسباب النزول للواحدي (ت٤٦٨هـ) تح: كمال بسيوني زغلول ص ٥٨، ٥٩ {دار الكتب العلمية – بيروت .ط: الأولى ، ١٤١١هـ}.وردالأثر في سنن أبي داوود، مرويا عن: أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ، ينظر: ج ٣ ص ١٢، حديث رقم ٢٥١٢، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} {تح/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت }

الله، ولا تلقوا بأيديكم – فيما أصبتم من الآثام – إلى التهلكة، فتيأسوا من رحمة الله، ولكن ارجوا رَحمته واعملوا الخيرات."[1]

ثالثا : مناسبة الآية الكريمة للمقصد العام للسورة :

ورد في مصاعد النظر للبقاعي : أن مقصد سورة البقرة:" إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليُتَّبَع في كل حال، وأعظم ما يهدي إليه: الإيمان بالغيب، ومجمعه: الإيمان بالآخرة، ومداره: الإيمان بالبعث، الذي أعربت عنه قصة البقرة، التي مدارها الإيمان بالغيب، فلذلك سميت بها السورة"[2]

فلما كان مقصد السورة الإيمان بالغيب، ناسب هذا المقصد هذه الآية الكريمة التي تحث المؤمن على النفقة، حيث إن المسلم لا يُقْبِلُ على الصدقة مطلقا إلا إذا كان مؤمنا بالغيب، مدركا تمام الإدراك للجزاء العظيم الذي أعده الله للمنفقين ـ راغبا في الحصول عليه ـ ومدركا كذلك للعذاب الأليم الذي ينتظر البخلاء، الذين لا يحبون النفقة، والذي قال الله تعالى عنهم وعن فعلتهم وجزائهم: {وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٨٠ } (آل عمران).

١ـ جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج ٣ ص ٥٨٣ :٥٨٧

٢ ـ مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) ج ٢ ص ٩ { مكتبة المعارف – الرياض . ط: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م}.

رابعا : تأثير الوحدات اللغوية داخل الخطاب القرآني على المتلقي، وتوجيه السلوك الإنساني:

أ- الوحدات الصوتية وإيحاءاتها[1]:

- أَنفِقُواْ

تدور مادة (ن ف ق) حول المعاني الآتية: " نَفِقَتِ الدراهم نَفَقًا من باب تعب نفدت، ... ونَفِقَ الشيء نَفَقًا أيضا فني، وأَنْفَقْتُهُ: أفنيته، وأَنْفَقَ الرجل بالألف فني زاده "[2]

" والنَفَقُ: سربٌ في الأرض له مَخْلَصٌ إلى مكانٍ."[3]

---

١ ـ عند معالجة الوحدات الصوتية، لبيان إيحاءاتها، المقصود: بيان أثر الفونيمات الموجودة في الكلمة بسياقها وترتيبها؛ التي عليها هيئتها؛ لأن الصوت تتغير إيحاءاته تبعا لتغير مكانه في الكلمة، ونظرا لتغير سياقه، والحروف المجاورة له ؛ لذلك سنجد شيئا من التغير عند معالجة هذا المستوى اللغوي، فأحيانا أعتمد في إيحاءات أصوات الكلمة على الجذر اللغوي فقط، وأحيانا أعتمد على صورة الكلمة وهيئتها كاملة، بسوابقها ولواحقها، وأحيانا أعتمد في إيحاء الأصوات على تحليل الكلمة إلى مقاطع صوتية، وليست هناك قواعد ثابتة لاستعمال كل حالة، إنما الأمر متوقف على أمور، هي: النظر في المعنى المعجمي للكلمة، والمعنى السياقي لها، وتأمل شخصية الحرف بمخرجه وصفاته، ثم التفكر فيه كثيرا وتأمله، ثم معالجته بما يفتح الله به على الباحثة .

٢ ـ المصباح المنير (ن ف ق).

٣ـ الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري .تح: أحمد عبد الغفور عطار (ن ف ق). دار العلم للملايين. بيروت .ط. الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م {

والإنفاق الوارد في الآية عام يشمل كل ما يقع عليه الفعل، وأظهر ما يتناوله: " بذل المال ونحوه في وجه من وجوه الخير"[1]

وبالنظر والتأمل في العلاقة بين المعنى اللغوي للانفاق وبخاصة في الصحاح للجوهري، والمعنى الخاص للإنفاق، نرى صورة حسية للمنفق، ونفقته تسير به وتوصله إلى الجنة؛ كما أن النفق يوصل من يسير فيه إلى الطريق الذي يرغب في الوصول إليه .

ولا يخفى ما تحمله الصور الحسية من سرعة تأثيرها في النفس البشرية، ولعل ما يؤكد هذا المعنى الحسي، هو قوله تعالى: (فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) أي في الطريق الموصل إلى الله تعالى .

فأضاف الطريق إلى الله تحفيزا للنفس البشرية على الإنفاق، وحثا لها على البذل والعطاء .

ـ أصوات الكلمة القرآنية وإيحاءاتها الدلالية :

ولو نظرت إلى أصوات حروف مادة(ن ف ق) بمخارجها وصفاتها، لوجدت تناسقا عجيبا بين الأصوات ودلالاتها . حيث إن الإنفاق هو: بذل المال ونحوه من كل ما يصح إنفاقه في وجوه الخير. وهذا البذل يكون على وجهين كليهما خيرا، وهما السر والجهر يقول الله تعالى: { ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا

١ ـ المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .(ن ف ق) ط. الثالثة .

هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ }.(سورة البقرة)، وجل الآيات التي حثت على الإنفاق أشارت إلى جوازه سرا وعلانية[١]

ولو نظرنا إلى أصوات مادة (ن ف ق) لوجدناها بدأت بحرف النون الذي يخرج من " طرف اللسان "[٢] ثم حرف الفاء الذي يخرج من "باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى "[٣]وختم بحرف القاف الذي يخرج من " أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى "[٤]

وكأن حرف النون الذي يخرج من طرف اللسان يمثل الصدقة التي سينفقها الإنسان إما جهرا فيتناسب ذلك مع مخرج الفاء الشفوي الواضح ، أوسرا فيتناسب ذلك مع مخرج القاف البعيد الذي يكمن أقصى الفم ،فلا يراه الرائي .

ولعل ما يؤكد تشبيهنا مخرج النون بالصدقة التي تنتظر من صاحبها التوجيه إما سرا وإما جهرا ، وسطية النون بين الشدة والرخاوة .

ولأن الأفضل في النفقة هو إخراجها سرا، فقد جاء الحكم التجويدي: (الإخفاء) في قوله: (وأنفقوا) حيث أخفيت النون لوقوع الفاء بعدها، وهي

---

١ ـ قال الله تعالى:{ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٞ ٣١ }. (سورة ابراهيم).
وقال عز من قائل: { إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ } (سورة فاطر) . وغيرهما من الأيات .

٢ـ الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر تح/ عبد السلام هارون ج ٤ ص ٤٣٣. { مكتبة الخانجي . القاهرة، ط. الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م }.

٣ ـ الكتاب ج ٤ ص ٤٣٣

٤ ـ السابق

من حروف الإخفاء، وكأنه يشير إلى أفضلية الصدقة المخفاه، حتى وهي جهرية، ولو سأل سائل كيف للصدقة أن تخفي وهي جهرية ؟! لقلت له: انظر إلى حرف الفاء الذي يمثل من وجهة نظرنا الجهر بالصدقة لوجدته مهموسا، رخوا، وهذا يستدعي اللين والرفق وخفض الجانب للفقير عند إعطائه الصدقة، وكأنه زاد الأمر تأكيدا عندما أخفى النون في الفاء، فكأنه أخفى الصدقة حتى في إخراجها علانية . والله تعالى أعلى وأعلم .

وكأن لفظ (أنفقوا) بإيحاءات فونيماته صور الصدقة وهيئة إخراجها ، سرا أو جهرا مع لين جانب وتواضع ، فقد صورت الأصوات بتنوعها الحالة الحسية والنفسية في آن واحد . وكأن " مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت"[1] كما قال الرافعي .

ـ وَأَحۡسِنُوٓاْ:

بينت قبل ذلك أن " حسَّن الشيء تحسينا: زينه"[2] .

وأن الإحسان: "إفعال من الحسن، وهو كل مبهج مرغوب فيه، عقلا، أو حسا، أو هوى "[3]

فأصوات كلمة (أحسنوا) بدأت بالصوت المجهور الشديد على رأي القدماء، وهو الهمزة؛ لتناسب الأمر بالإحسان وقوة الحث على الإتيان به،

---

١ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي ص ١٤٩{ دار الكتاب العربي – بيروت . ط. الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م}.

٢ـ مختار الصحاح (ح س ن).

٣ ـ بصائر ذوي التمييز ج ٢ ص ٦٧

ثم أتبع برخاوة الحاء وخروج الهواء معها، ثم رخاوة السين مع الصفير الموجود بها، كل هذا يزيد من تأكيد فعل الإحسان، ثم ختمت الكلمة بالمقطع المفتوح (نوا) (ص ح ح)؛ ليوضح أن الإحسان المأمور به في الآية هو: الإحسان المستمر الدائم، والذي لا ينقطع.

انظر إلى نطق كلمة (أحسنوا) تجد أنَّ النَّفَسَ منطلق معك دون انقطاع، كذلك فإن الله يطلب منك إحسانا مستمرا دون انقطاع .

ب ـ الوحدات الصرفية (المورفيمات)

ـ الوحدات الصرفية المعجمية :

لو تأملت المورفيمات المعجمية الواردة في الآية الكريمة، لوجدت ترابطا عجيبا بين معاني هذه المورفيمات الثلاثة: (ن ف ق)، (ل ق ي)، (ي د ي).

فمعنى (ن ف ق) من: (نفقت الدراهم ... نفدت)[1]، وقال الثعلبي: "وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد أو عن المِلْكِ. يقال: نفق المبيع إذا كثر مشتروه وأسرع خروجه"[2]

ومعني(ل ق ي) من: "أَلْقَاه طَرَحَه، تقول أَلْقِه من يَدك، وأَلْق به من يدك"[3]

---

١ ـ المصباح المنير (ن ف ق).

٢ ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (٤٢٧هـ) تح/ الإمام / أبي محمد بن عاشور ، ج ١ ص ١٤٨{ دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان . ط. الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م }.

٣ ـ مختار الصحاح (ل ق ي)

ومعنى (ي د ي) معروف وهي من : " المنكب إلى أطراف الأصابع .... واليد : النعمة والإحسان ، ... والأمر بيد فلان أي بتصرفه ، وتطلق اليد على القدرة "[1]

فاليد كما هو واضح مشتركة في المواد الثلاثة، فلما كان الإنفاق الأصل فيه اليد، وهو سبب النجاة، أتي باليد في الهلاك أيضا، لتكون اليد سببا في النجاة وسببا في الهلاك؛ وهذا يدل على أن السبب في هلاك الإنسان هو تصرفه الخارج عن المنهاج الرباني، فالله سبحانه وتعالى لا يريد بنا إلا الخير، ولكن الشر هو ما نجنيه نحن بأيدينا، وخير دليل على ما أقول هو السياق الخارجي للآية الكريمة، وهو سبب نزول الآية الذي ذكرناه عن أبي أيوب قال:" نزلت فينَا معاشرَ الأنصار، لمَّا أعزَّ اللهُ دينه، قلنا – سِرًّا من رسول الله . صلى الله عليه وسلم – إن أموالَنَا قد ضاعتْ، فلو أقَمَنْا فيها وأصلَحْنا منها ما ضَاعَ، فأنزلَ اللَّهُ في كتابه، يردُّ علينا ما همننا به: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ } فكانت التهلكة في الإقامة، التي أردنا أن نقيم في أموالنا ونصلحها، فأُمرنا بالغزو"[2]

وهذا يدل على أنه لا يمكن للمتلقي أن يفهم الرسالة الموجهة إليه في الخطاب، وهو غافل عن السياق الخارجي له؛ لأن هذا السياق له دور كبير في الوصول إلى المعنى المراد منها .

لقد أدرك الصحابة مراد الله تعالى، وفهموا المقصود من الآية، وعلموا أن الله تعالى يريد بهم الخير والبقاء، حتى وهو يأمرهم بالغزو والجهاد، وأنهم

---

١ ـ المصباح المنير (ي د ي)

٢ـ معاني القرآن للنحاس ج ١ ص ١١٠، ١١١

يلقون بأنفسهم في التهلكة، حتى وهم يحافظون على أموالهم ويقيمون فيها لإصلاحها.

فاللهم لا تجعلنا من {ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ }.(الكهف).

ـ ٱلتَّهۡلُكَةِ

"وقيل: التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك ... وقيل: التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك مالا يمكن الاحتراز عنه"[1]

جاء في الصحاح: " قال اليزيدي: التَهْلُكَةُ من نوادر المصادر، ليست مما يجري على القياس"[2]

وأرى والله . تعالى . أعلى وأعلم، أن ندرة الصيغة، وقلة ورودها، تتناسب مع ندرة الحدث الوارد في السياق القرآني:

وهو قول الله تعالى {وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ}، فمن هذا الذي يألف إلقاء نفسه في الهلاك، ليأتي الله تعالى له (بصيغة قياسية) فالإنسان لا يرمي نفسه في الهلاك إلا مضطرا، أو جاهلا بما سيقع فيه، والحالتان يتناسبان مع هذا الوزن النادر ـ كما نص العلماء ـ وإن كان بعض العلماء يرى أن هذا اللفظ بهيئته ووزنه مخالفا للقياس، فإنّي أراه إعجازا لغويا، حيث

١ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ) تح : عبد الرزاق المهدي ج ١ ص ٢٣٩ { دار إحياء التراث العربي –بيروت .ط : الأولى ، ١٤٢٠ هـ}.

٢ ـ الصحاح (هـ ل ك).

عبر عن الحدث غير المألوف لدى النفس الإنسانية، بكلمة وزنها غير قياسي في اللغة العربية، فهل هناك إعجاز فوق هذا الإعجاز.

والعربي الذي يألف الصيغ، ويعرف معناها، عندما يجد صيغة تخالف ماهو معلوم عنده ، لابد أن يقف وينتبه ، ويتساءل : لماذا عدل الخطاب القرآني عن الصيغة المألوفة القياسية، إلى صيغة نادرة، فيدفعه ذلك إلى مزيد تأمل وتفكر في الخطاب الموجه إليه، فالنفس البشرية لا تقف عند ما هو مألوف، ولكن يجذبها دوما كل نادر خارج عن المألوف، منفردا عن غيره.

ج ـ الوحدات النحوية (التركيبية)

في هذا الخطاب القرآني أربع وحدات نحوية، لكل منها دلالتها وأثرها على النفس البشرية وهي :

ـ الوحدة التركيبية الأولى :{ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ }

أسلوب أمر بصيغته الصريحة (افعل) وأسند إلى المورفيم الدال على الجمع (واو الجماعة)، وذكر متعلقه وهو (فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) ورأى أهل التفسير أنه قيد الإنفاق بكونه في سبيل الله " لوجهين. الأول: أن هذا كالتنبيه على العلة في وجوب هذا الإنفاق؛ وذلك لأن المال مال الله فيجب إنفاقه في سبيل الله؛ ولأن المؤمن إذا سمع ذكر الله اهتَزَّ ونَشَطَ فيسهل عليه إنفاق المال.

الثاني: أن هذه الآية إنما نزلت وقت ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة لقضاء العمرة، وكانت تلك العمرة لابد من أن تفضى إلى القتال إن منعهم المشركون، فكانت عمرة وجهادا، واجتمع فيه المعنيان، فلما كان الأمر

كذلك، لا جرم قال تعالى:{ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ } ولم يقل: وأنفقوا في الجهاد والعمرة."[1]

وواضح أن الإنفاق المقصود في الآية عام؛ فهو من قبيل طي المفعول إفادة للعموم، على سبيل التوسعة في الإنفاق فيشمل كل ما من شأنه أن ينفق، وفي ذلك توسعة علي المنفق لينفق مما يستطيعه، فإذا أراد البر فلينفق مما يحب، فقد قال الله تعالى : { لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ }(سورة آل عمران (٩٢))

ـ سَبِيلِ ٱللَّهِ

تعبير عام يدل على كل عمل قصد به التقرب إلى الله . تعالى . وقد غلب على الجهاد، حتى أصبح تعبيرا اصطلاحيا في الجهاد عند إطلاقه، يقول ابن الأثير: "وسبيلُ الله عامٌّ يقعُ على كل عَمل خالِصٍ سُلك به طَريق التقرُّب إلى الله تعالى بأداءِ الفَرَائض والنَّوافل وأنْواع التَّطوعُّات، وإذا أُطْلق فهو في الغالِب واقعٌ على الجهَاد حتى صارَ لكَثْرة الاسْتِعْمال كأنه مقصورٌ عليه ."[2]

يقول ابن عاشور :

١ـ مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ج ٥ ص ٢٩٤{ دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ}.

٢ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٦ . تح : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي .{ المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م }.

"(سَبِيل اللَّهِ) طَرِيقُهُ، وَالطَّرِيقُ إِذَا أُضِيفَ إِلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا يُضَافُ إِلَى مَا يُوصِلُ إِلَيْهِ، وَلَمَّا عُلِمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ النَّاسُ تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الطَّرِيقِ الْعَمَلَ الْمُوصِلَ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ"[1]

ـ الوحدة التركيبية الثانية ـ أسلوب النهي: {وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ}

بعد أن بدأ الآية بأسلوب الأمر أتبعه مباشرة بذكر أسلوب النهي؛ ووجه ذلك تأكيد فعل ما أمر به وذلك لأن " الأمر إيجاد فعل لا يكون إلا بقدر الوسع (إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَااسْتَطَعتُمْ)[2]"[3]

لذا جاءت جملة النهي تأكيدا للأمر السابق عليها وهو الإنفاق في سبيل الله، فإذا كان الأمر بالإنفاق قد يقوم به بعض الناس ويتركه بعضهم؛ لأن المال له في النفس شأن ومكانة، فإن خطاب الله تعالى للنفس البشرية بالنهي لا تستطيع ترك الامتثال به؛ فهي بفطرتها مجبولة على حب البقاء، وتنفر مما يؤدي إلى الهلاك، ولا يتأتى تحقيق عدم الهلاك إلا بالالتزام بالأمر بالإنفاق .

١ـ التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد . لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) ج ٢ ص ٢١٣{الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤م} .

٢ـ صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر ج ٦ ص ٢٦٥٨ حديث رقم (٦٨٥٨).

٣ـ صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم د/ محمود توفيق محمد سعد ص ١٣٥{ مطبعة الأمانة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م }.

يقول الألوسي: "فهو متعلق بمجموع المعطوف والمعطوف عليه نهيا عن ضدهما تأكيدا لهما "[1]

وجاء عطف جملة (لا تلقوا....) على جملة (أنفقوا .....) على ما بينهما من تلازم؛ لفتا إلى ما بينهما من تغاير، فهما وإن تلازما إلا أنهما ليستا متطابقتين، بل بينهما مغايرة قصد اللفت إليها، فجاءت (الواو) دالة على إرادة ذلك .

ولا يخفى ما في تنوع أساليب الخطاب وتغايرها من تأثير نفسي على المتلقي في فهم الرسالة الموجهة إليه، والعمل على تطبيق ماجاء فيها .

ـ معنى الباء في {بِأَيْدِيكُمْ}.

ورأى بعض النحويين أن الباء في قوله {بِأَيْدِيكُمْ } زائدة للتأكيد[2]. ورده بعضهم بأننا يمكن أن نخرجها على أمور أخرى تفاديا للحكم بالزيادة فهي إما:

" على التضمين، أو حذف المفعول ....فقيل: لا تلقوا مضمن معنى: لا تفضوا. وقيل: حذف المفعول والباء للسببية، أي: لا تلقوا أنفسكم بسبب أيديكم"[3]

فدعوى الزيادة في القرآن الكريم، رفضها العديد من العلماء، وردوا على القائلين بها، يقول الرافعي :" ولما كان الأصل في نظم القرآن أن تعتبر

١ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الألوسي، ج ٢ ص ٧٧ {دار إحياء التراث العربي – بيروت }.

٢ـ ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية إبن مالك لابن هشام الأنصاري .ج ٣ ص ٣٨ {دار الجيل – بيروت . ط. الخامسة ، ١٩٧٩م} .

٣ـ الجنى الداني في حروف المعاني لبدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ) تح: د/ فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل. ص ٥٢ { دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .ط. الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م}.

الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أو ما يجري مجرى الحشو والاعتراض"[1]

وأرى . أن الباء للسببية فإن هذا يتناسب مع السياق اللغوي في أول الآية بقوله: { وأنفقوا } فكما أن الإنفاق يكون باليد فإن عدمه يكون أيضا بسبب منع يدك عن الإنفاق والعطاء، فاليد كما كانت سببا في نجاتك بإنفاقها، كانت سببا في هلاكك بسبب امتناعها عن الإنفاق. والله تعالى أعلى وأعلم.

ـ الوحدة التركيبية الثالثة: أسلوب الأمر الذي حذف متعلقه: { وَأَحۡسِنُوٓاْ }

قال ابن كثير:" ثم عطف بالأمر بالإحسان، وهو أعلى مقامات الطاعة، فقال: { وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥}."[2]

أما متعلق أحسنوا فقد حذف " وفي حذف متعلق { أحسنوا } تنبيه على أن الإحسان مطلوب في كل حال ويؤيده قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الصحيح : (إِنَّ الله كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ[3])."[4]

فقد أفاد الحذف هنا (العموم والشمول) لتجتهد النفس البشرية في تنفيذ الأوامر والنواهي السابقة في أكمل صورة حتى تصل إلى الإحسان، فتألف

١ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦هـ) ص ١٥٥{ دار الكتاب العربي – بيروت . الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م}

٢ـ تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ج ١ص ٢٨٦ تح / محمود حسن . دار الفكر. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

٣ـ جزء من حديث ورد في: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تح/ شعيب الأرنؤوط ج ١٣ ص ١٩٩، كِتَابُ الذَّبَائِحِ، حديث رقم : ٥٨٨٣{مؤسسة الرسالة، بيروت .الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م }.

٤ـ التحرير والتنويرج ٢ ص ٢١٦

النفس البشرية الإحسان فيكون دأبها في جميع أحوالها؛ فتصل بهذا الإحسان إلى حب الله تعالى لها .

يقول ابن عاشورفي بيان صور الإحسان :

"وفي الأمر بالإحسان بعد ذكر الأمر بالاعتداء على المعتدي، والإنفاق في سبيل الله، والنهي عن الإلقاء باليد إلى التهلكة إشارة إلى أنّ كلّ هاته الأحوال يلابسها الإحسان ويحفّ بها، ففي الاعتداء يكون الإحسان بالوقوف عند الحدود والاقتصاد في الاعتداء والاقتناع بما يحصل به الصلاح المطلوب، وفي الجهاد في سبيل الله يكون الإحسان بالرفق بالأسير والمغلوب، وبحفظ أموال المغلوبين وديارهم من التخريب والتحريق، والعرب تقول: (مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ)[1]، والحذر من الإلقاء باليد إلى التهلكة إحسان "[2].

ـ الوحدة التركيبية الرابعة: { إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥}

جملة اسمية دخلت عليها (إنَّ) فأفادت ربطها بالجملة السابقة عليها، وبينت الفائدة من الأمر السابق عليها، وجعلت السياق القرآني أحكم وأكثر تآلفا.مما يجعل أثر الخطاب في النفس أقوى، والتهيؤ للامتثال بالأمر أسرع؛ لما للتعبير القرآني من جمال وترابط وإعجاز: يقول عبد القاهرالجرجاني في

١ـ جزء من حديث شريف ورد في صحيح البخاري تحت رقم (٢٨٧٦) كتاب الجهاد والسير ج ٣ ص ١١٠٦، وهو مثل للعرب: "مَلكْت فأسْجِحْ، الإسْجَاحُ: حسن العفوِ أي ملكت الأمر علىَّ فأحْسِنِ العفوَ عني وأصله السهولة والرفق". ينظر: مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري .تح : محمد محيى الدين عبد الحميد ج ٢ ص ٢٨٣ مثل رقم : ٣٨٧٩ {دار المعرفة – بيروت}.

٢ـ التحرير والتنوير ج٢ ص ٢١٦

الحكمة من دخول إنَّ على مثل هذه الجمل :" أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها، وتأتلف معه وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر"[1].

ثم بين الإمام عبد القاهر صورة الكلام وحالته لو حذفت (إن) من بين الجملتين فقال: (حتى إذا جئتَ إلى "إنَّ" فأسقطتَها، رأيتَ الثاني منهما قد نَبَا عن الأولِ، وتجافى معناه عن معناه، ورأيْتَه لا يتَّصلُ به ولا يكونُ منه بسبيلٍ، حتى تجيءَ (بالفاءِ)"[2][3]

إذن فالفاء تسد مسد (إن) من وجهة نظر الإمام عبدالقاهر .

والحقيقة أن عبد القاهر – رحمه الله – يرى أن الجملتين في حالة وجود رابط بينهما أفضل حالا من عدم وجود هذا الرابط؛ لذلك وضح أنه لابد من

---

١ ـ دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) تح: محمود محمد شاكر أبو فهر ص ٣١٦ { مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠م . الهيئة المصرية العامة للكتاب.}.

٢ـ والفاء التي قصدها الجرجاني هي: الفاء الواقعة: "جوابا لازمة للسببية، وفيها أيضا الربط والترتيب كما ذكر في العاطفة، إلا أن المعنى الذي انفردت به في هذا الموضع : الجوابية، فتنصب ما بعدها من الأفعال المستقبلة بإضمار (أن) وذلك إذا وقعت جوابا لأحد عشرة أشياء، وهي: الأمر والنهي والاستفهام والعرض والتحضيض والتمني والدعاء والنفي وفعل الشرط وفعل الجزاء " ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام: أحمد بن عبد النور المالقي (٧٠٢هـ) تح /أحمد محمد الخراط ص ٣٧٩ { مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق).

٣ـ دلائل الإعجاز ص ٣١٦

مجيئك بالفاء إن حذفت (إن) حتى يستقيم المعنى ـ هذا طبعا في غير القرآن . لأن تمثيله كان على بيت لبشار يقول[1]:

بكِّرا صاحبيَّ قبلَ الهَجيرِ ... إنَّ ذاكَ النَّجاحَ في التبكيرِ

فهو يرى أن قولك:

بكِّرا صاحبيَّ قبلَ الهَجيرِ ... فذاكَ النَّجاحَ في التبكيرِ

أفضل في التعبير وأصح من عدم وجود رابط لفظي مطلقا فتقول:

بكِّرا صاحبيَّ قبلَ الهَجيرِ ... ذاكَ النَّجاحَ في التبكيرِ

وعلى الرغم من جواز وضع الفاء موضع إن في مثل هذا الموضع إلا أنه عقب بقوله: " ثم لا ترَى (الفاء) تعيد الجملتين إلى ما كانتا عليه مِنَ الألفة، ولا تردُّ عليك الذي كنت تجد (بإن) من المعنى"[2].

ـ هذا الربط بين الجملتين الذي أفادته (إن) يكون بالإضافة إلى معناها الأصلي وهو: " التثبيت للخبر الذي بعده "[3]

١ـ دلائل الإعجاز ص ٣١٦، والبيت من بحر الخفيف، وهو في ديوان بشار بن برد تح/ محمد الطاهر بن عاشور ج ٣ ص١٢١{مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م }.

٢ـ دلائل الإعجاز ص ٣١٦. وقد ذكر عبد القاهر "أن هذا الضرب كثيرٌ في التَّنزيلِ جدًّا، من ذلك قولُه تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١} [الحج]، وقولُه عزَّاسمُه: {يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ } [لقمان: ١٧]، وقولُه سبحانه وتعالى: {خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ } [التوبة: ١٠٣].

٣ـ الصاحبي لابن فارس تح/ السيد أحمد صقر ص ١٧٦{عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة ١٩٧٧م}

فكما ربطت(إن) بين الجملتين، وبينت العلة من الجملة الأولى: (وأحسنوا) وهي أن الله يحب المحسنين؛ كذلك أفادت تثبيت وتأكيد الخبر وهو: حب الله للمحسنيين.

كل هذا الجمال والإعجاز اللغوي يؤثر في النفس ويحثها على تنفيذ الأمر بالإحسان؛ لأن المكافأة على التنفيذ كبيرة جدا، وهي حب الله تعالى لعباده المحسنين .وإذا أحب الله العبد منحه منحة عظيمة، تنير له الحياة ما بقي عليها، يقول رب العزة :" فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ "١

تعقيب :

بعد هذا العرض التحليلي التأصيلي للخطاب القرآني الذي اشتمل على الترغيب، وأعقب بالترهيب، ثم عاد إلى الترغيب مرة أخرى، مشتملا في داخله على ما يساعد على إيصال المعنى ويؤثر على عاطفة وسلوك المتلقي، من أصوات إيحائية، وصيغ صرفية تتناسب مع الحدث شيوعا وندرة، ثم تراكيب متنوعة بين الأمر والنهي، مع ما فيها من حذف وتأكيد وروابط ...إلخ كل ذلك ختم بالتودد والتحبب إلى المسلم الملتزم بأوامر الله والمتجنب لنواهيه.

وإذا كان علم اللغة الحديث بفروعه المختلفة: الاجتماعي، والنفسي، والأنثروبولوجي، والتي تهتم بالإنسان، وتواصله، ونفسيته، وثقافته: نصت

١ ـ الحديث رواه أَبو هُرَيْرة، وورد في صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٣٨٤ باب التواضع .

على أن " قدرة المحاور على التودد إلى المشاركين في الحوار تحدد مدى نجاحه أو إخفاقه في تحقيق هدفه منه"[١]

فقد جمعت لغة الخطاب القرآني بين " العقل والعاطفة في التعبير،... في توازن مستمر، إنها تخاطب العقل وتوظفه أقوى توظيف، بحيث لا يجد المتعقل، والمتأمل منفذا من منافذ الشك إلا وقد سُدَّ سدا منيعا، ولا طريقا من طرق التردد إلا وقد أوصد كاملا، ثم إنها مع ذلك المنهج الفكري تخاطب الوجدان، وتحرك العاطفة، وتثير الإحساس، فيستجيب العقل، وتستجيب العاطفة معا في وقت واحد، فيصل القارئ أو السامع مع لغة القرآن الكريم إلى مستوى من (الإقناع) معجز، لا يحدث مع كلام آخر، مهما بلغ من درجات الفصاحة والبلاغة، فيتحقق لديه وعلى الفور (الاقتناع) بناء على التذوق الدقيق، والفهم الكامل لهذه اللغة بجانبيها: العقلي، والعاطفي "[٢].

١ ـ علم اللغة الاجتماعي د/ محمد حسن عبد العزيز ص ٢٢٠ { مكتبة الآداب . القاهرة ٢٠٠٩م }.

٢ ـ في علم اللغة العام د/ عبد العزيز علام ص ١٧٥

المبحث الثاني : موضعا آل عمران

وفيه مطلبان :

ـ المطلب الأول: الموضع الأول في آل عمران.

قول الله تعالى :{۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ }

ـ المطلب الثاني: الموضع الثاني في سورة آل عمران.

قول الله تعالى: { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨ } .

المبحث الثاني : موضعا آل عمران

المطلب الأول: الموضع الأول في آل عمران

قال الله تعالى: {۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ }

أولا: سبب نزول الآيات :

ما ورد " عن عطاء بن أبي رباح «أَنَّ المُسْلِمِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله بَنُو إِسْرَائِيلَ كَانُوا أَكْرَمَ عَلَى الله تَعَالَى مِنَّا؛ كَانُوا إِذَا أَذْنَبَ أَحَدُهُمُ ذَنْبًا أَصْبَحَتْ كَفَّارَةُ ذَنْبِه مَكْتُوبَةً فِي عَتَبَةِ دَارِهِ، اجْدَعْ أَنْفَكَ، اجْدَعْ أُذُنَكْ، افْعَلْ كَذَا وَكَذَا، فَسَكَتَ (صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْه وَسَلَّم)، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ }[1].الآية، فَقَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ أَلا أُخْبِرُكُم بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ ثُمَّ تَلَاهَا عَلَيْهِمْ"[2]

ثانيا : معنى الآيتين الكريمتين:

يأمر الله عباده بالمسارعة إلى كل ما يوجب المغفرة، وإلى جنة عرضها السموات والأرض أعدها الله ـ عز وجل ـ للمتقين الذين من صفاتهم أنهم ينفقون أموالهم في السراء والضراء، ويكظمون غيظهم، ويعفون عن الناس، و كل هذه الأعمال من قبيل الإحسان، ومن يفعلها ينل حب الله تعالى؛ لأنه تعالى يحب المحسنين .

١ـ آل عمران من آية ١٣٥

٢ـ روح المعاني للألوسي ج ٢ ص ٢٧١، لم يتيسر لي الوصول إلى الحديث في كتب الحديث.

ثالثا : مناسبة الآيتين الكريمتين للمقصد العام للسورة :

ذكر البقاعي أن "المقاصد التي سيقت لها هذه السورة: إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى، والإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرهما مما آثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة، وأن ما أعد للمتقين من الجنة والرضوان هو الذي ينبغي الإقبال عليه والمسارعة إليه"[1]

وهذا يدل على أن محور الآيتين اعتبرهما البقاعي مقصدا من مقاصد سورة: (آل عمران)؛ لأن الغاية التي من أجلها يعمل المؤمنون الصالحات هي الجنة؛ لذلك حثنا الله تعالى على : الإسراع إليها،وبين أنها مأوى المتقين من عباده، وذكر الأعمال الصالحة التي توصل الإنسان إلى التقوي والتي بها ينال الجنة بما فيها من نعيم .

رابعا : تأثيرالوحدات اللغوية داخل الخطاب القرآني، على المتلقي، وتوجيه السلوك الإنساني:

أـ الوحدات الصوتية وإيحاءاتها:

ـ وَسَارِعُوَاْ:

" السُّرْعة ضدُّ البُطْءِ... والمُسَارَعة إلى الشَّيْءِ المُبَادَرة إليه"[2].

---

١ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي تح : عبد الرزاق غالب المهدي ج ٢ ص ٣ {دار الكتب العلمية – بيروت . ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م}.

٢ ـ مختار الصحاح (س ر ع)

والكلمة القرآنية: سارعوا، كأنها تصور لنا الصورة الحسية والحركية للمسارعة بين الناس، وكأني بمقاطعها الثلاثة: سا / رِ / عوا، تحكي لنا صورة المتسارعين في سباقهم :

فالمقطع الأول: (سا): مقطع متوسط مفتوح، يصور هيئة الاستعداد للمسارعة، باعتدال واستقامة وطول قامة .

والمقطع الثاني: (رِ): مقطع قصير، والصامت المعتمد عليه هو صوت الراء، وكلاهما يتناسب مع حركة السرعة في السباق، فسرعة الحركة تناسب المقطع القصير، وتكرار الحركة يتناسب مع التكرار الموجود في الراء .

ثم يأتي المقطع الثالث: (عو) وهومقطع متوسط مفتوح؛ ليدل على مواصلة السباق بكل جهد وإصرار، وساعد على تصوير هذا الجهد، نوع الحركة المعتمد عليها المقطع، وهي الضمة الطويلة لما فيها من قوة، تتناسب مع بذل الجهد والطاقة.

ـ مَغْفِرَة:

" غَفَرَ اللهُ لَهُ غَفْرًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ، وَغُفْرَانًا صَفَحَ عَنْهُ، وَالْمَغْفِرَةُ اسْمٌ مِنْهُ"[1] وأصله من " الْغَفْرِ: السَّتْرُ، وَمِنْهُ يُقَالُ: الصِّبْغُ أَغْفَرُ لِلْوَسَخِ أَيْ أَسْتَرُ "[2]

وعندما تأملت مادة (غ ف ر)، وجدت أنها تحاكي بحروفها الثلاث، جميع الأحداث المتعلقة بالمغفرة على النحو التالي :

١ ـ المصباح المنير (غ ف ر)

٢ ـ السابق

الغين: بما فيها من جهر، واستعلاء، وتفخيم، وإصمات، تدل على قوة الغافر على المغفرة، فهو سبحانه وتعالى:{ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣}(سورة غافر(٣))

والفاء: بضعفها، بما فيها من: همس، ورخاوة، وترقيق، واستفال، وزلاقة، تدل على حال العبد الضعيف، الذي تغلبه ذنوبه، فيلجأ لربه ذليلا مستكينا، متجردا من حوله وقوته، طالبا من ربه المغفرة على ذنوبه.

والراء: بما فيها من تكرار، تبين تكرار المغفرة من الله تعالى، تبعا لتكرار الذنب من ابن آدم، وكأن الذنب يُعدُّ عادة من عادات ابن آدم ؛ ومما يؤكد ذلك :

ما ورد عن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ: يَا رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ فَغَفَرَ لَهُ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ فَقَالَ: يَا رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي فَقَالَ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ قَدْ غَفَرْتُ لَكَ][1]

١ ـ المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ) تح: مصطفى عبد القادر عطا ج ٤ ص ٢٧٠ حديث رقم ٧٦٠٨ { دار الكتب العلمية بيروت.ط.الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م}.

لذلك ورد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: [وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ][1].

والأحاديث السابقة دلت على أن (الراء) لا تدل على تكرار الذنب فقط، وإنما تدل على تكرار الاستغفار من العبد لربه، فقد قرنت مغفرة الله تعالى للعبد عن الذنب بالاستغفار، فلو لم يستغفر العبد من ذنبه لما غفر الله له.

وهذا مما يوضحه السياق الخارجي للنص، فإن الأحاديث الواردة في موضوع الآية، أو في موضوع متعلق بها ، قد يكون سياقا خارجيا توضيحيا لمراد الآية في كثير من الأحيان .

ـ ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ :

السراء:" الْخَيْرُ وَالْفَضْلُ"[2]، والسراء "الرَّخاء وهو ضدّ الضَّرَاء"[3].وفي المحكم: "والسُّرُّ والسَّرَّاءُ والسُّرُورُ والمَسَرّة كلُّه الفَرَحُ"[4]

الضراء: "وَالضَّرَّاءُ نَقِيضُ السَّرَّاءِ وَلِهَذَا أُطْلِقَتْ عَلَى الْمَشَقَّةِ"[5]

يفهم مما سبق أن السراء: الرخاء، والضراء: المشقة، فهما حالتان متناقضتان، ولم يفرق بينهما إلا حرف واحد .

١ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل تح / شعيب الأرنؤوط وآخرين ج ١٣ ص ٤٤٥ حديث رقم (٨٠٨٢) { مؤسسة الرسالة،الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م}.

٢ـ المصباح المنير (س ر ر)

٣ـ مختار الصحاح (س ر ر)

٤ـ المحكم والمحيط الأعظم (س ر ر)

٥ـ المصباح الممنير (ض ر ر)

ولو نظرت إلى الحرف الوارد في السراء التي تدل على الرخاء والفرح والسرور والخير لوجدته(السين)، وهو صوت مهموس، رخو، صفيري، يغلب عليه أسماء السعادة والخير، مثل :سرور، سعادة، سكينة، سلام، سجود، سهولة ... إلخ.

يقول العقاد عن حرف (السين)، إنه يدل"على المعاني اللطيفة كالهمس والوسوسة، والنبس والمس والمساس والاقتباس ولكنه يتغير إذا تغير موقعه من الكلمة"[1]

أما الحرف الوارد في الضراء فهو(الضاد)، وهو من حيث المخرج من أصعب الحروف العربية، يقول ابن الجزري:"والضاد انفرد بالاستطالة، وليس في الحروف مايعسُر على اللسان مثله"[2]

ومن حيث الصفات هو صوت قوي من حيث جميع صفاته عدا الرخاوة، فهو صوت: رخو، مجهور، مستعل، مفخم، مصمت، مستطيل. وهذه الصفات تتناسب مع المعنى الوارد في الضراء، من شدة ومشقة.

فما بين صوتي السين والضاد، من تضاد في الصفات يتناسب مع التضاد الوارد في السراء والضراء، وصدق الجاحظ حين قال:"أَمْرُ الصَّوتِ

١ـ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب لعباس محمود العقاد ص ٤٧

٢ ـ النشر في القراءات العشر ج ١ ص ١٧٣ ،{ دار اكتب العلمية بيروت . لبنان .ط. الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م } وقارن بخصائص الحروف العربية ومعانيها لحسن عباس ص ١٥١ { منشورات اتحاد الكتاب العرب . ١٩٩٨م}.

عجيبٌ، وتصرُّفُه في الوجوه عجب، فمن ذلك أنّ منه ما يقتل، كصوت الصاعقة، ومنه ما يسرُّ النفوس حتى يُفْرِط عليها السُّرُورُ "[1]

ـ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ:

" كظم الرجل غيظه إذا اجترعه، كظمه يكظمه كظما: رده وحبسه"[2]

" وَكَظْمُ الْغَيْظِ: أَنْ يَمْتَلِئَ غَيْظًا فَيَرُدهُ فِي جَوْفِهِ وَلَا يُظْهِرهُ"[3].

وفي اللسان:" الغيْظُ : الغَضب ... وقيل : هو أَشدُّ من الغضَب"[4]

وقد جاءت حروف الكلمة مرتبة بمخارجها وصفاتها بما يحاكي كظم الغيظ واجتراعه، حيث بدأت الكلمة بمخرج الكاف المهموسة الذي يجري معها النفس؛ لضعف الاعتماد في موضعه،[5]والتي تخرج من أقصى اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى،[6] ثم انتقل النفس إلى: طرف اللسان وأطراف الثنايا[7]مع مخرج الظاء، مع امتلاء الفم بالهواء المحصور بين اللسان

١ـ الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) تح :عبد السلام محمد هارون ج ٤ ص ١٩١، ١٩٢ {دار الجيل. بيروت. لبنان ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م}.

٢ـ اللسان (ك ظ م).

٣ـ معالم التنزيل للبغوي ج١ ص ٥٠٧

٤ـ اللسان (غ ي ظ) .

٥ـ ينظر الكتاب لسيبويه ج ٤ ص ٤٣٤

٦ ـ السابق ص ٤٣٣

٧ ـ السابق ص ٤٣٣

والحنك،[1] والمتمثل في إطباق الظاء، ثم حبس الهواء داخل الحلق خلف الشفتين التي هي مخرج الميم[2] .

وهذا هو ما يحدث عند كظم الغيظ، فكأن الغيظ يملأ جوف المغتاظ كامتلاء الفم بالهواء مع الظاء المطبقة، وعندما يصل إلى أقصى ما يكون وهو مقدم الفم، المتمثل في مخرج الظاء، نجد صاحبه يكتمه ويكظمه ويغلق عليه، وهو ما تصوره الميم بانطباق الشفتين على الهواء الموجود داخل الفم، ولولا خروج الهواء من الأنف لانفجر الإنسان، أو مات من كتمه نفسه خلف الشفتين؛ لذلك قال الطيبي: "وإنما حمد الكظم؛ لأنه قهر للنفس الأمارة بالسوء"[3]

قال – صلى الله عليه وسلم –: (مَن كَظَمَ غَيْظًا وهُوَ قادِرٌ عَلى أنْ يُنْفِذَهُ، دَعاهُ اللهُ عزّ وجل عَلى رُؤُوسِ الخَلائِقِ يَوْمَ القِيامَةِ حَتّى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الحُورِ العِينِ ما شاءَ)[4]

ب ـ الوحدات الصرفية:

ـ سارعوا: أتى بفعل الأمر من سارع لما فيه من معنى المسابقة " إذِ الناسُ كَأنَّ كُلَّ واحِدٍ يُسْرِعُ لِيَصِلَ قَبْلَ غَيْرِهِ، فَبَيْنَهم في ذَلِكَ مُفاعَلَةٌ"[5]

---

١ ـ السابق ص ٤٣٦

٢ـ السابق ص ٤٣٣

٣ ـ تحفة الأحوذي ج ٧ ص ١٦٥

٤ ـالحديث رواه: سهلِ بن مُعَاذ، عَنْ أَبِيهِ، وورد في : سنن أبي داود ج ٤ ص ٢٤٨بَابُ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا. حديثرقم: (٤٧٧٧)

٥ـ المحررالوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) .تح /عبد السلام عبد الشافي محمد ج ١ ص ٥٠٧ { دار الكتب العلمية – بيروت. ط: الأولى – ١٤٢٢هـ }.

لذلك قال في سورة الحديد: { { سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ }.(من آية ٢١)، فكأن الناس يتسابقون إلى المغفرة، ويريد الله تعالى منهم الزيادة في هذه المسابقة ليصلوا إلى المسارعة .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يخاطب نفوسنا وعقولنا، ويعلمنا أن الأمر الذي يحتاج إلى المنافسة والمسارعة ليست الدنيا بمتعها، ولكن كل ما من شأنه أن يوصلك إلى مغفرة الله تعالى وجنته، وصدق الله إذ يقول:

{وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦} (سورة المطففين).

وإذ يقول: { لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ٦١ } (سورة الصافات)

ـ مَغۡفِرَةٖ:

جاءت كلمة مغفرة نكرة هنا للتعظيم، وكأنه قال: " المغفرة العظيمة المتناهية في العظم"[١]

وللإطلاق والتعميم أيضا فقد فسرت عدة تفسيرات :" قال ابن عباس: إلى الإسلام، وعنه إلى التوبة، وقال علي بن أبي طالب إلى أداء الفرائض، وعن أنس بن مالك وسعيد بن جبير أنها التكبيرة الأولى، وقيل إلى الإخلاص في الأعمال. وقيل إلى الهجرة، وقيل إلى الجهاد، واللفظ مطلق

١ ـ مفاتيح الغيب ج ٩ ص ٣٦٥

فيعمّ الكل ولا وجه لتخصيص نوع دون نوع، وهذا وجه من قال إلى جميع الطاعات والأعمال الصالحات"[1].

- لِلْمُتَّقِينَ:

جاءت بصيغة اسم الفاعل ولم يقل للذين اتقوا؛ ليبين أنهم: "الذين صارت التقوى شعارهم، فاستقاموا واستمروا على الاستقامة"[2].

- يُنفِقُونَ:

جاء الفعل المضارع "للإشارة بأنهم يتجدد إنفاقهم في سبيل الله آنا بعد آن بدون انقطاع"[3] .

ولأن الفعل المضارع يدل على التجدد والاستمرار فقد استعمله الخطاب القرآني ليبين أن المتقي هو من يتجدد إنفاقه، لا من ينفق مرة ويترك مرات، وإنما هو من يتعود على الإنفاق دائما فجاء بالفعل المضارع؛ حثا للمسلم وشحذا لهمته على الإنفاق دائما.

- ٱلْكَٰظِمِينَ ، وَٱلْعَافِينَ:

هذان هما الصفتان الثانية والثالثة للمتقين ، وكان حقهما أن يأتيا بصيغة المضارع كالوصف الذي عطفت عليه (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ)

---

١ ـ فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ) . تح/ خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ج ٢ ص ٣٣١{ المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت . ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م}.

٢ ـ نظم الدرر ج ٥ ص ٧٣

٣ ـ التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ج ٢ ص ٢٦٣.

إلا أنه ـ سبحانه وتعالى ـ أتى بهما على صيغة اسم الفاعل؛ حثا للإنسان على استمرارية اتصافه بهما.

يقول أبو السعود :" والعُدُولُ إلى صِيغَةِ الفاعِلِ لِلدِّلالَةِ عَلى الِاسْتِمْرارِ "[1].

ـ ٱلْمُحْسِنِينَ :

الوحدة الصرفية (ال): هنا يصح أن تكون :"للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون. وأن تكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء"[2]

ج ـ الوحدات التركيبية :

ـ الوحدة التركيبية الأولى: {وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ}

بدأ الله تعالى خطابه لعباده المؤمنين بأمر على سبيل الوجوب وهو: سارعوا "والمُسَارَعة إلى الشَّيْءِ المُبَادَرة إليه."[3]

ثم جاء في خطابه فى الآية كاملة بما يتناسب مع هذه السرعة والمبادرة فحذف من الكلام في أكثر من موضع، على النحو التالي :

أ. حذف السبب المؤدي إلى المغفرة

---

١ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ) ج ٢ ص ٨٥{ دار إحياء التراث العربي – بيروت }

٢ ـ الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٤١٦

٣ ـ مختار الصحاح (س ر ع)

والتقدير : "وَسَارِعُوا إِلَى مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّكُمْ"[1]. وذلك لترغيب النفس في الإسراع إلى عمل المأمورات؛ لأنها سبب الوصول إلى المغفرة.

ورأى ابن عباس أن الحذف، والاتصال المباشر بين المغفرة والمسارعة، يعني: "لا تُصِرُّوا على الذنب. إذا أذنب أحدٌ فلْيُسْرع الرجوع، يغفر الله له"[2]. " فوجب أن يكون التراخي محظورا"[3]

ومعنى ذلك أن الأمر بالمسارعة إلى المغفرة، متضمن أمرا بالفرار من المعصية، تصويرا لما فيها من بالغ الضر بمن يقاربها، وهو من إيجاز القصر[4]، حيث تضمنت العبارة معنيين دلت على أحدهما تصريحا وعلى الآخر تلميحا .

ب ـ حذف حرف الجر في (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا) إذ التقدير: (وإلى جنة) وهذا الحذف يؤكد الإسراع إلى كل ما يوجب المغفرة والجنة، دون تراخ أو تباطؤ.

يقول الرازي:" كما تجب المسارعة إلى المغفرة، فكذلك تجب المسارعة إلى الجنة، وإنما فصل بينهما لأن الغفران معناه إزالة العقاب، والجنة معناها

١ـ مفاتيح الغيب ج ٩ ص ٣٦٥

٢ـ التَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) ج ٥ ص ٥٩٠{عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ}

٣ـ مفاتيح الغيب ج ٢٩ ص ٤٦٥

٤ ـ إيجاز القصر : تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف، ينظر :البلاغة الواضحة لعلى الجارم ،ومصطفى أمين ص ٣٩٣ {دار قباء الحديثة . القاهرة . ٢٠٠٧م}

إيصال الثواب، فجمع بينهما للإشعار بأنه لا بد للمكلف من تحصيل الأمرين"[1]

فقد جمع التركيب القرأني بين إيجازي القصر والحذف؛ ليتناسب مع الكلمة القرآنية (وَسَارِعُوٓاْ).

ج ـ حذف واو العطف في بعض القراءات

ـ سَارِعُوٓاْ .. وَسَارِعُوٓاْ:

" قرأ المدنيان وابن عامر: (سَارِعُوٓاْ) بغير واو قبل السين، وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون بالواو، وكذلك هي في مصاحفهم "[2]

ووجه القرطبي القراءتين بقوله:

" وقال أبو علي: كلا الأمرين شائع مستقيم، فمن قرأ بالواو فلأنه عطف الجملة على الجملة، ومن ترك الواو فلأن الجملة الثانية ملتبسة بالأولى مستغنية بذلك عن العطف بالواو"[3] .

وفسر ذلك ابن عاشور فقال:

" تَتَنَزَّلُ جُمْلَةُ سارِعُوا.. مَنْزِلَةَ الْبَيَانِ، أَوْ بَدَلَ الِاشْتِمَالِ، لِجُمْلَةِ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لِأَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ مُسَارَعَةٌ إِلَى الْمَغْفِرَةِ وَالْجَنَّةِ فَلِذَلِكَ فُصِلَتْ.

---

١ ـ مفاتيح الغيب ج ٩ ص ٣٦٥

٢ ـ النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ١٨٢

٣ ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ) تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ج ٤ ص ٢٠٣ { دار الكتب المصرية – القاهرة . ط: الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م}

وَلِكَوْنِ الْأَمْرِ بِالْمُسَارَعَةِ إِلَى الْمَغْفِرَة والجنّة يؤول إِلَى الْأَمْرِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ جَازَ عَطْفُ الْجُمْلَة على جُمْلَةِ الْأَمْرِ بِالطَّاعَةِ، فَلِذَلِكَ قَرَأَ بَقِيَّةُ الْعَشَرَةِ وَسارِعُوا بِالْعَطْفِ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يُنْبِئُنَا بِأَنَّهُ يجوز الْفَصْل والوصل فِي بَعْضِ الْجُمَلِ بِاعْتِبَارَيْنِ"[1].

د ـ حذف كاف التشبيه، والمضاف في قوله : {عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ}:

حذف كاف التشبيه، والمضاف، على التشبيه البليغ، إذ التقدير:" كعرض فحذف المضاف كقوله { مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ } [لقمان: ٢٨] أي إلا كخلق نفس واحدة وبعثها... نظيره في سورة الحديد { وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ } (الحديد: ٢١)"[2]

ويلاحظ:

تجسيد الخطاب القرآني الوارد في الآية: للسرعة في جميع مستويات الخطاب، فجسدها صوتيا بإيحاءات أصواتها، وجسدها صرفيا بالصيغة التي تدل على المفاعلة، وجسدها تركيبا بالحذف المتكرر، فقد كثر الحذف في هذا الخطاب القرآني، حتى وكأني به يحث المخاطب على المسارعة إلى المغفرة والجنة، مهما كانت العقبات، فالهدف غال وثمين، فعليك أيها المسلم تخطي جميع العقبات للإسراع إلى الجنة، كما حذف الخطاب القرآني لك من التركيب كل زيادة يمكن حذفها؛ ليصور لك السرعة في التعبير عما يريد بأقصر طريق وفي أسرع وقت .

---

١ ـ التحرير والتنوير ج ٤ ص ٨٨

٢ـ تفسير القرطبي ج ٤ ص ١٩٩

ولو تأملت الخطاب القرآني بالحذف، كما قاله الله عز وجل :

ـ (وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ) .

ثم تأملته بالإثبات على هذه الصورة :

ـ وَسَارِعُوا إِلَىٰ ما يوجب مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَإِلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا كعرض السَّمَاوَات وَالْأَرْض .

لأدركت أيهما أسرع في الوصول إلى مشاعر المخاطب، وأيهما أوقع في نفس المخاطب.

ـ دلالة الواو العاطفة في قوله تعالى : (وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ) .

ولعله من تمام الفائدة أن أنوه هنا إلى أن الواو جاءت للاشتراك المطلق في المعنى، ولم يترتب على هذا الترتيب أي معنى آخر من معانيها ، كالترتيب الزمني، والمصاحبة ، والتعقيب ... إلخ .

يقول عباس حسن: " المراد من الاشتراك المُطلق والجمع المطلق أنها لا تدل على أكثر من التشريك في المعنى العام، فلا تفيد الدلالة على ترتيب زمني بين المتعاطفين وقت وقوع المعنى، ولا على مصاحبة، ولا على تعقيب، أو مهلة، ولا على خسَّة٠أو شرف، وهي إنما تتجرد للاشتراك المطلق حيث لا توجد قرينة تدل على غيره، وحيث لا تقع بعدها "إما" الثانية"١.

---

١ ـ النحو الوافي لعباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ) ، ج ٢ ص ٥٥٨ { دار المعارف .ط . الخامسة عشرة }

فكأن الأمر هنا بوجوب المسارعة إلى المغفرة، والمسارعة إلى الجنة معا، يقول الرازي:" ثم إنه تعالى بين أنه كما تجب المسارعة إلى المغفرة فكذلك تجب المسارعة إلى الجنة، وإنما فصل بينهما لأن الغفران معناه إزالة العقاب، والجنة معناها إيصال الثواب، فجمع بينهما للإشعار بأنه لابد للمكلف من تحصيل الأمرين"[1]

ـ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ

لماذا خص العرض بالذكر دون الطول ؟

ورد في المصباح : "الْعَرْضُ خِلَافُ الطُّولِ وَجَنَّةٌ عَرِيضَةٌ وَاسِعَةٌ"[2]

لما أراد الله تعالى وصف الجنة بالسعة :" خص عرضها بالذكر دون الطول، وإنما عدل عن ذكر الطول لأن المستقر في البداءة والأذهان أن الطول أدل على السعة فإذا كان عرضها مما يسع السموات والأرض فما بالك بطولها!"[3]

فلما أراد المبالغة في وصفها بالسعة عدل عن وصف الطول إلى وصف العرض لغرض بلاغي أطلق عليه علماء البلاغة : التنكيت وهو:" عبارة عن

١ـ مفاتيح الغيب ج ٩ ص ٣٦٥

٢ـ المصباح المنير (ع ر ض)

٣ـ إعراب القرآن وبيانه ، ج ٢ ص ٥٥

أن يقصد المتكلم شيئًا بالذكر دون أشياء كلها تسد مسده، لولا نكتة في ذلك الشيء المقصود، ترجح اختصاصه بالذكر"[1]

وقد نص علماء البلاغة على "أنه لولا تلك النكتة التي انفرد بها، لكان القصد إليه دون غيره خطأ ظاهرًا عند أهل النقد"[2]

ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من ترغيب للنفس البشرية في الجنة التي يبلغ عرضها السموات والأرض، فما بالك أيها المسلم الطائع المتقي بطول هذه الجنة.

ورأى بعض العلماء أن المقصود بالعرض هنا السعة بوجه عام "قَالَ الْقَفَّالُ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعَرْضِ هَاهُنَا مَا هُوَ خِلَافُ الطُّولِ، بَلْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ السَّعَةِ كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: بِلَادٌ عَرِيضَةٌ، وَيُقَالُ هَذِهِ دَعْوَى عَرِيضَةٌ، أَيْ وَاسِعَةٌ عَظِيمَةٌ، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ مَا اتَّسَعَ عَرْضُهُ لَمْ يَضِقْ، وَمَا ضَاقَ عَرْضُهُ دَقَّ، فَجُعِلَ الْعَرْضُ كِنَايَةً عَنِ السَّعَةِ"[3].

وقد اتخذ اليهود هذه الآية دعوى للتشكيك في القرآن الكريم، فإذا كان عرض الجنة سعة السماء والأرض، فأين تكون النار؟ وقد رد عليهم سيدنا عمر بن الخطاب بذكائه، وفطرته النقية التي كانت توافق الوحي ، فيما ذكره النحاس في كتابه معاني القرآن: "روى طارق بن شهاب أن اليهود قالت

١ـ خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت: ٨٣٧هـ) تح: عصام شقيو ج ٢ ص ٣٠٧{ دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار– بيروت ٢٠٠٤م}.

٢ـ السابق ج٢ ص ٣٠٧

٣ـ مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ج ٩ ص ٣٦٦

لعمر بن الخطاب: تقولون جنة عرضها السموات والأرض فأين تكون النار ؟! فقال لهم عمر: أرأيتم إذا جاء النهار فأين يكون الليل ؟! وإذا جاء الليل فأين يكون النهار؟!"[1]

ـ الوحدة التركيبية الثانية :ـ {أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ }

وختام الآية بهذا التركيب الاستئنافي جاء ليناسب السياق السابق الذى ذكر فيه النار وبين أنها أعدت للكافرين، فحسن عند ذكره للجنة أن يبين أنها أعدت للمتقين .

يقول ابن عاشور: "وجملةُ { أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ } استئناف بياني لأنّ ذكر الجنَّة عقب ذكر النَّار الموصوفة بأنَّها أعدّت للكافرين، يثير في نفوس السامعين أن يتعرّفوا مَن الذين أعدّت لهم : فإن أريد بالمتَّقين أكمل ما يتحقّق فيه التَّقوى ، فإعدادها لهم لأنَّهم أهلها فضلاً من الله تعالى الّذين لا يلجون النار أصلاً عدلاً من الله تعالى فيكون مقابلَ قوله : { وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ } (آل عمران)"[2]

ويفهم من جملتي (أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ)، و(أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ)، أن " يكون عصاة المؤمنين غير التَّائبين قد أخذوا بحظّ من الدارين ، لمشابهة حالهم حالَ الفريقين عدلاً من الله وفضلاً ، وبمقدار الاقتراب من أحدهما يكون الأخذ بنصيب منه"[3]

---

١ ـ معاني القرآن للنحاس ج ١ ص ٤٧٩

٢ـ التحرير والتنوير ج ٣ ص ٢٢١

٣ ـ التحرير والتنوير ج ٣ ص ٢٢١

والحكمة من تخصيص المتقين بالذكر دون المسلمين والمؤمنين؛ لما للتقوى من مكانة عالية، فهي وصية الله تعالى لعباده على مر العصور.

يقول الفيروزآبادي:" قال بعضُ المُرِيدين لَشْيخِه: أَوْصِنِى قال: أُوصِيكَ بما أَوْصىَ الله تعالَى الأَوَّلِين والآخِرِين، وهو قوله: { وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ }(سورة النساء،١٣١).

قال الشيخ أَبو حامد رحمه الله: أَلَيْسَ اللهُ سبحانه أَعلمُ بصَلاح العَبْد من كلِّ أَحدٍ، ولَو كانت فى العالَمِ خصلةٌ هى أَصلحُ للعبد وأَجْمَعُ للخير، وأَعظمُ للأَجْرِ، وأَجَلُّ فى العُبوديّة، وأَعظمُ فى القَدْرِ، وأَوْلَى فى الحالِ، وأَنجحُ فى المآلِ من هذه الخَصْلَة الَّتى هى التقوىَ لكان الله سبحانه أَمَرَ بهَا عِبادَه وأَوْصَى خَواصّه بذلك؛ لِكمال حِكْمَته، ورحمته، فلمّا أَوْصَى بهذه الخَصْلة جميعَ الأَولين والآخِرين من عِبادِه واقتصر عليها عَلِمْنا أَنَّها الغايةُ التى لا مُتجاوَزَ عنها"[1]

ـ الوحدة التركيبية الثالثة :ـ {ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ}

جاء هذا التركيب الخبري وصفا للمتقين؛ لبيان الصفات التي تكون فيهم، مستعملا جملة صلة الموصول الفعلية (فعلها مضارعا)؛ ليفيد تجدد الإنفاق، وكثرة حدوثه على الرغم من تغير أحوالهم بين الرخاء والشدة والضيق .

١ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج ٥ ص ٢٦١

وإعراب الموصول هنا: "إما مفصول عما قبله على أنه مبتدأ وقيل: إنه معطوف على ما قبله من صفات المتقين"[١]

"وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص؛ ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو، ومواساة فقراء المسلمين"[٢]

وحذف مفعول { يُنفِقُونَ }:"ليتناول كل ما يصلح للإنفاق المحمود، أو متروك بالكلية كما في قولهم : فلان يعطي ويمنع"[٣]

ولعل الحكمة من حذف المفعول؛ تفرغ الإدراك للفعل، وكأنه مركز العناية من حيث هو، لا من حيث واقعا على شيء ما، ففرق بين (محمد يكتب الدرس)، و(محمد يكتب).

ـ ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ:

بين السراء والضراء طباق يوضح المعنى ويزيده جمالا وبلاغة، "وَكَأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا هُنَا لِأَنَّ السَّرَّاءَ فِيهَا مَلْهَاةٌ عَنِ الْفِكْرَةِ فِي شَأْنِ غَيْرِهِمْ، وَالضَّرَّاءَ فِيهَا مَلْهَاةٌ وَقِلَّةُ مَوْجِدَةٍ. فَمُلَازَمَةُ الْإِنْفَاقِ فِي هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَحَبَّةَ نَفْعِ الْغَيْرِ بِالْمَالِ، الَّذِي هُوَ عَزِيزٌ على النّفس، قد صَارَت لَهُمْ خُلُقًا لَا يَحْجُبُهُمْ عَنْهُ حَاجِبٌ وَلَا يَنْشَأُ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ نَفْسٍ طَاهِرَةٍ"[٤]

---

١ ـ روح المعاني ج ٤ ص ٦٠

٢ ـ الكشاف ج ١ ص ٤١٥

٣ ـ روح المعاني للألوسي ج ٢ ص ٢٧٢

٤ ـ التحرير والتنوير ج ٤ ص ٩١

ـ الوحدة التركيبية الرابعة :{ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ}

تركيبان خبريان معطوفان " على الموصول، والعدول إلى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار، وأما الإنفاق فحيث كان أمرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد"[1]

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يخبرنا أن المتقي المستحق لجنة ربه هو الذي أصبح كظم الغيظ عنده طبيعة وسجية ملازمة له، وكذلك يخبرنا أن المستحقين للجنة نجدهم: "العافين عن الناس أي الذين يتسامحون ويعفون عمن أساء إليهم مع القدرة على ردّ الاعتداء، وتلك منزلة ضبط النفس التي تدلّ على سعة العقل ورجاحة الفكر وقوة الإرادة ومتانة الشخصية، وهي أرقى من كظم الغيظ، إذ ربما كظم المرء غيظه على الحقد والضغينة، وهذا مثل قوله تعالى: { وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ } (الشورى)"[2]

ـ الوحدة التركيبية الخامسة : { وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }

ثم ختم التراكيب بالتركيب التحفيزي الذي جاء بمثابة شهادة تقدير، ومكافأة على الأعمال الجميلة الرائعة السابقة من: (إنفاق، وكظم غيظ، وعفو عن الناس) فقد استحققتم بذلك أيها المسلمون المتقون لقب المحسنين، وبذلك تستحقون المكافأة الكبرى، وتستحقون وسام شرف، وشهادة تكريم وتقدير؛ لتفخروا بأنفسكم وتصبحوا قدوة للعالمين ...

---

١ ـ إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج ٢ ص ٨٥

٢ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج .د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي ج ٤ ص ٨٨ {دار الفكر المعاصر – دمشق . ط : الثانية ، ١٤١٨ هـ}.

ـ ٱلۡمُحۡسِنِينَ: (ال) هنا يصح أن تكون:"للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون، وأن تكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء"[١]

تعقيب

رأى علماء النفس أن الوظيفة الأساسية للغة هي الوصول إلى أعماق شعور الجماهير، والتأثير فيهم، ودفعهم إلى عمل سلوكي معين، وبعد أن حللت السياق اللغوي إلى وحداته: الصوتية، والصرفية، والتركيبة من وجهة نظر عالم اللغة، تبين أن الخطاب القرآني الموجه للمسلمين في هاتين الآيتين، جاء مستفتحا بأمر على سبيل الإيجاب، يحمل بين طياته النصح والإرشاد، مرغبا في الأمر بالمسارعة إلى الجنة ببيان صفة من صفاتها، وهي أن عرضها السموات والأرض فما بالك بطولها، وقد استعان بالحذف ليتناسب مع المسارعة إلى المغفرة والجنة، كما استعمل التشبيه البليغ زيادة في المبالغة في سعة عرض الجنة، واستعمل الطباق زيادة في التأثير على مشاعر المتلقي، واستعمل التفصيل بعد الإجمال عندما لم يكتف بذكر المتقين؛ لكن فصل صفاتهم العديدة منوعا عند ذكرها بين الصيغ (ينفقون، الكاظمين، العافين)؛ لما لتنوع الصيغ والأساليب من أثر على النفس البشرية، وجذب انتباه المخاطبين إلى الخطاب الموجه لهم، ولما كانت اللغة العاطفية من أقوى الأسلحة في السيطرة على الأفكار، واستمالة العقول والقلوب لتلقي الخطاب، والعمل به، ختم الله تعالى الآيتين بجائزتين عظيمتين، الأولى: أن من اجتمعت فيه هذه الصفات يعد محسنا، الثانية: أن الله يحب المحسنين.

---

١ ـ الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٤١٦

المطلب الثاني: الموضع الثاني في سورة آل عمران.

قال الله تعالى: { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨

أولا:ـ سبب نزول الآيات:

ورد في أسباب النزول للنيسابوري" لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: قَدْ أُصِيبَ مُحَمَّدٌ فَأَعْطُوهُمْ بِأَيْدِيكُمْ، فَإِنَّمَا هم إخوانكم، وقال بَعْضُهُمْ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أُصِيبَ ألا ما تَمْضُونَ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ نَبِيُّكُمْ حَتَّى تَلْحَقُوا بِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ }[1] إِلَى { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ } لِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ إِلَى قَوْلِهِ: { فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا }"[2]

---

١ ـ آل عمران من آية ١٤٤

٢ ـ أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ). تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان ص ١٢٥ { دار الإصلاح ، الدمام .ط. الثانية ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م } .

ثانيا: ـ معنى الآيات :

بدأت الآيات بحث الله تعالى لعباده على الجهاد، والثبات عند ملاقاة الأعداء؛ فذكر لهم أحوال الأمم السابقة في مساندة أنبيائهم، وكيف كان حالهم في مواجهة الأعداء، فقال تعالى :

{ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ }.

ولا يخفى ما في هذه الآية الكريمة من:" الترغيب في الجهاد في سبيل الله والحض على سلوك طريق العلماء من صحابة الأنبياء، والأمر بالاقتداء بهم في الصبر على الجهاد"[1]، ثم زادهم ترغيبا وتحفيزا بقوله في ختام الآية { والله يحب الصابرين } ؛ حيث بين لهم أن هذا الثبات لا يكون إلا من الصابرين، وأن من يتصف بهذه الصفة يحظى بحب الله تعالى له.وبعد أن عدد صفاتهم الفعلية، انتقل إلى صفاتهم القولية؛ ليبين ثباتهم على الحق عند الشدائد، وإدراكهم الكبير أنه لن ينال ما عند الله إلا برضا الله تعالى، فاتجهوا إلى الله تعالى، يدعونه أن يغفر ذنوبهم ،صغيرها وكبيرها، وأن يثبتهم في مواجهة الأعداء، وينصرهم عليهم، فقال تعالى حاكيا حالهم:{ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ } فتقبل الله دعاءهم، ومن عليهم بثوابي الدنيا والآخرة، ثم أطلق عليهم لقب المحسنين، ومنحهم حبه تعالى؛ جزاء لأفعالهم .

---

١ ـ أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تح : محمد الصادق قمحاوي ج ٢ ص ٣٢٦{ دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٤٠٥}.

ثالثا : مناسبة الآيات الكريمة للمقصد العام للسورة :

ذكر البقاعي أن: "المقاصد التي سيقت لها هذه السورة: إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى، والإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرهما مما آثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة، وأن ما أعد للمتقين من الجنة والرضوان هو الذي ينبغي الإقبال عليه والمسارعة إليه"[1]

والمناسبة واضحة بين مقاصد السورة، والآيات الكريمة موضوع الدراسة، فقتال الربيين مع أنبيائهم، وصبرهم على القتال، وصمودهم وقوتهم لا يتأتى إلا من الإيمان بوحدانية الله تعالى، وبما أعده الله تعالى للشهداء من نعيم مقيم، ثم لجوء الربيين إلى الله تعالى بالاستغفار، والدعاء بالتثبيت في الدنيا والآخرة،أكبر دليل على إيمانهم بوحدانية الله تعالى، وإيثار الآخرة على الدنيا الزائلة، طمعا في جنة الله ورضوانه.

رابعا: تأثير الوحدات اللغوية داخل الخطاب القرآني على المتلقي، وتوجيه السلوك الإنساني:

أ. الوحدات الصوتية وإيحاءاتها:

- السروراء ترتيب الألفاظ الثلاثة: وهنوا، ضعفوا، استكانوا

ورد في المصباح: "وَهَنَ يَهِنُ وَهْنًا مِنْ بَابِ وَعَدَ ضَعُفَ فَهُوَ وَاهِنٌ فِي الْأَمْرِ وَالْعَمَلِ وَالْبَدَنِ وَوَهَنْتُهُ أَضْعَفْتُهُ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى"[2]

---

١ - نظم الدرر للبقاعي تح : عبد الرزاق غالب المهدي ج ٢ ص ٣ .

٢ - المصباح المنير (و هـ ن)

وجاء في المحكم: " الضَّعْف والضُّعْف: خلاف القوة. وقيل: الضُّعْف في الجسد، والضَّعْف في الرأي والعقل. وقيل: هما جائزتان في كل وجه"[١].

وأما " استكان الرجل: خضع وذل، وهو (افتعل) من المسكنة"[٢]

وقد فرق أبو هلال العسكري بين الوهن والضعف؛ بما يساعدنا في فهم هذا الترتيب الوارد في الآية الكريمة فقال: " الوهن انكسار الجسد بالخوف وغيره، والضعف نقصان القوة"[٣].

فكأن الوهن ضعف يحصل في الجسد بسبب الخوف من مواجهة العدو، ويترتب على هذا الوهن، ضياع قوة وعزيمة الخائف، وهو الضعف، وإذا وصل الإنسان المقاتل إلى هذه الحالة، ذل وخضع واستكان لعدوه، في سبيل النجاة، وما أسوأ هذه الحالة إذا مر بها المقاتل ؛ لذلك نص الله عليها ليبين بشاعة فعلهم، فكان من الممكن أن يقال مثلا: (فصمدوا، وصبروا، وعزوا)؛ ولكنه سبحانه وتعالى أراد أن يصور بشاعة فعلهم، فعرَّض بهم بنفي ما فعلوه عن أتباع الأمم السابقة .

وتأكيدا لهذا المعنى ذكر الأزهري معنى (وهنوا في الآية فقال:" أي فما فَتَروا وما جَبُنوا عن قتالِ عدوّهم"[٤]

---

١ ـ المحكم والمحيط الأعظم (ض ع ف)

٢ ـ المحكم والمحيط الأعظم (س ك ن)

٣ ـ معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تح: الشيخ بيت الله بيات ص ٣٣١ { مؤسسة النشر الإسلامي .ط: الأولى، ١٤١٢هـ}

٤ ـ تهذيب اللغة (و هـ ن)

ـ إيحاءات أصوات (الوهن، الضعف، الاستكانة).

ساعد على تصوير الضعف الشديد في الجسد، بسبب الجبن والخوف في كلمة وهن، الصوت الرئيس الذي توسط الكلمة وهو:(الهاء) هذا الحرف الذي وصفه الخليل باللين والهشاشة فقال: " وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب للينها وهشاشتها وإنما هي نَفَس لا اعتياص فيها"[1]، ووصفه ابن جني بأنه صوت مهتوت، فقال :"ومن الحروف المهتوت وهو الهاء وذلك لما فيها من الضعف والخفاء"[2]، وقد جاءه الضعف من صفات الضعف التي غلبت عليه فهو صوت : مهموس ، رخو، منفتح، مستفل. خفي.

وكذلك جاء الصوت الرئيس في كلمة (ضعفوا) هوالعين ، متصفا بأغلب صفات الضعف وهي: البينية، والانفتاح، والاستفال، وقد دعم بصوت الفاء الذي جمع كل صفات الضعف، فهو مهموس، رخو، منفتح، مستفل، ذلق . ولعل الاستطالة الموجودة في صوت الضاد، والتي بُدئ بها الفعل، تدل على امتداد الضعف فيهم جميعا، وانتشاره في جسدهم .

أما استكان فمادتها إما (س ك ن) أو (ك و ن) ، فيكون الصوت الرئيس فيها (الكاف) وهو من الأصوات التي يغلب عليها صفات الضعف من: همس، وانفتاح، واستفال، وترقيق.

فصفات الضعف تغلب على أصوات الكلمات الثلاثة بما يتناسب مع معانيها .

١ـ مقدمة العين ج ١ ص ٥٤

٢ ـ سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني تح : د.حسن هنداوي ج ١ ص ٦٤ {دار القلم – دمشق .الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م }

ب ـ الوحدات الصرفية :

ـ كأَيّن:

ذكر جمهور العلماء أن كأين:" مركبة من كاف التشبيه و(أي)، والأكثر أن تستعمل مع (من)."[1]

وأشاروا إلى أنه: "لَمْ يَقَعْ لِلتَّنْوِينِ صُورَةٌ فِي الْخَطِّ إِلَّا فِي هَذَا الْحَرْفِ خَاصَّةً وَيَقِفُ بَعْضُ الْقُرَّاءِ عَلَى (وَكَأَيِّ) بِلَا نُونٍ وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى الْوُقُوفِ بِالنُّونِ"[2]

هذا عن أصلها، أما عملها فيقول ابن مالك: "أما (كأي) فبمنزلة (كم) الخبرية: في إفادة التكثير، وفي لزوم التصدير، وفي انجرار التمييز؛ إلا أن جره بمن ظاهرة لا بالإضافة"[3]

وإذا كانت كأيّن بمنزلة كم الخبرية، فلماذا استعملت (كأين) في هذه الآية، ولم تستعمل (كم)؟

---

١ ـ شرح المفصل لموفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ) قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ج ٣ ص ١٨٠{ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م}

٢ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن ،لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ) تح/ محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ج٢ ص ١١٦ {دار طيبة للنشر والتوزيع. ط: الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م}

٣ ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لجمال الدين عبد الله الأنصاري ٧٦١ هـ تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي ج ٤ ص ٢٧٣ { دار الجيل – بيروت .الطبعة الخامسة ، ١٩٧٩ م}

وقد أجاب على هذا السؤال د/ فاضل صالح السامرائي قائلا: " والذي يبدو لي أنها تستعمل في مواطن التفخيم والتعظيم، إضافة إلى التكثير"[1]

وهذا لتفخيم يتناسب مع سبب نزول الآيات المذكورة، فقد جاءت لعتاب المؤمنين الذين أصابهم الوهن والضعف في غزوة أحد، فبينت لهم الآيات أنه كم من نبي مما سبقوكم قاتل معه أتباعه ولم يهنوا ولم يضعفوا ولم يستكينوا مثلكم، ففخم وعظم حال االسابقين مع أنبيائهم قياسا بحالهم مع نبيهم .

- نَّبِيّ

نُكِّرَ نَبِيٌّ هنا للتعظيم والتكثير، يقول الألوسي :" والتنوين في نَبِيٍّ للتعظيم، وزعم الأجهوري أنه للتكثير "٢.

ولعله عبر بلفظ نبي " لتكون التسلية أعظم بذكر ما هو طبق ما وقع في هذه الغزوة من قتل أصحابه، واحتمال العبارة لقتله نفسه بقوله: (قُتِل)"[3]

- رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ

اختلف العلماء في المقصود بـ (الربيون):"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: الرِّبِّيُّونَ الْأُلُوفُ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: الرِّبِّيَّةُ الْوَاحِدَةُ: عَشْرَةُ آلَافٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: الرِّبِّيَّةُ الْوَاحِدَةُ: أَلْفٌ، وَقَالَ الْحَسَنُ: فُقَهَاءُ عُلَمَاءُ

١. معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي ج ٢ ص ٣٤٢ { دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن .ط . الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م}.

٢ ـ روح المعاني ج ٢ ص ٢٩٦

٣ ـ نظم الدرر ج ٢ ص ١٦٣

وَقِيلَ: هُمُ الْأَتْبَاعُ، وَالرَّبَّانِيُّونَ الْوُلَاةُ وَالرِّبِّيُّونَ الرَّعِيَّةُ، وَقِيلَ: مَنْسُوبٌ إلى الرب"[1]

والعلة من مجيء الصفة على هيئة المفرد على الرغم من أن الموصوف ورد بصيغة الجمع؛"لِأَنَّ لَفْظَ (كَثِيرٌ وَقَلِيل) يُعَامل موصوفهما مُعَامَلَةَ لِفَظِ شَيْءٍ أَوْ عَدَدٍ، قَالَ تَعَالَى:{ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً } (النِّسَاء: ١) وَقَالَ: { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ } (الْبَقَرَة: ١٠٩)"[2]

- فَمَا وَهَنُواْ:

في مادة (وهـ ن) لغتان: وَهَن يَهِن، ووهِن يهِن،قال الفيومي:" وَهَنَ يَهِنُ وَهْنًا مِنْ بَابِ وَعَدَ ضَعُفَ ... وهن يَهِنُ بِكَسْرَتَيْنِ لُغَةٌ قَالَ أَبُو زَيْدٍ: سَمِعْتُ مِنْ الْأَعْرَابِ مَنْ يَقْرَأُ: {فَمَا وَهِنُوا} بِالْكَسْرِ"[3]

وقد وردت هذه القراءة الشاذة في المحتسب منسوبة إلى الحسن[4]

قال ابن جني: " فيه لغتان: وهَن يهِن، ووهِن يوهَن، وقولهم في المصدر: الوهَن بفتح الهاء يُؤنِّس بكسر الهاء من (وهِن) فيكون كفرِق فرَقًا

---

١ ـ معالم التنزيل للبغوي ج ٢ ص ١١٧

٢ ـ التحرير والتنوير ج ٤ ص ١١٨

٣ ـ المصباح المنير للفيومي (و هـ ن)

٤ ـ ينظر المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تأليف أبي الفتح عثمان ابن جني، تح/ على النجدي ناصف وآخرين ج ١ ص ١٧٤{المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م }.

وحذر حذرًا. وحدثنا أبو علي أن أبا زيد حكى فيه كسر الهاء في الماضي، وقولهم فيه: الوَهْن، بسكون الهاء يؤنس بفتح عين الماضي كفَتَر فَتْرا."[1]

ولم ينص ابن جني على لغة (وهِن يهِن) التي نص عليها الفيومي، ولعلها من باب تداخل اللغات، أو تركب اللغات؛ "وذلك انَّه قد دلّت الدلالة على وجوب مخالَفة صيغة الماضي لصيغة المضارع إذ الغرض في صِيغ هذه المُثُل إنما هو لإفادة الأزمنة، فجعِل لكل زمان مثالٌ مخالف لصاحبه وكلّما ازداد الخلاف كانت في ذلك قوّة الدلالة على الزمان"[2]

ثم أطلق على من خالف ذلك، وحكم عليه العلماء بالشذوذ أنه من تركب اللغات، وهي أن هناك لغة تقول: (وهَن يهِن)، وأخرى تقول: (وهِن يوهَن) " ثم تلاقى أصحاب اللغتين فسمع هذا لغة هذا وهذا لغة هذا، فأخذ كل واحد منهما من صاحبه ما ضمه إلى لغته فتركبت هناك لغة ثالثة"[3].

ـ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ

اختلف العلماء حول الجذر اللغوي لكلمة (استكانوا) على وجهين، وعليه اختلف المعنى والوزن، وقد فصل هذا الاختلاف الألوسي في تفسيره قائلا:

"واختلف فيه هل هو من السكون فوزنه افتعل لأن الخاضع يسكن لمن خضع له فألفه للإشباع وهو كثير وليس بخطأ خلافا لأبي البقاء، ولا يختص بالشعر خلافا لأبي حيان، أو من الكون فوزنه استفعل وألفه منقلبة عن واو،

١ـ المحتسب ج ا ص ١٧٤

٢ـ الخصائص لابن جني تح/ محمد علي النجارج ١ ص ٣٧٦{الهيئة المصرية العامة ، للكتاب،ط، الثالثة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م}.

٣ـ الخصائص ج ١ ص ٣٧٧

والسين مزيدة للتأكيد كأنه طلب من نفسه أن يكون لمن قهره، وقيل: لأنه كالعدم فهو يطلب من نفسه الوجود. وجوز أن يكون من قول العرب: بات فلان – بكينة سوء – أي بحالة سوء، أو من – كان يكينه – إذا أذله، وعزي ذلك إلى الأزهري وأبي علي، وحينئذ فألفه منقلبة عن ياء "[1]

ج ـ الوحدات التركيبية :

ـ الوحدة التركيبية الأولى: { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ }

بدأت الأيات الكريمات بالجملة الابتدائية (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ)، وتدل الجملة على كثرة الأنبياء الذين قاتل معهم أتباعهم، والعجيب في الأمر أن هذه الجملة كثر في وحداتها اللغات، والقراءات، وأوجه الإعراب، وكأن هذه الكثرة تتناسب مع كثرة الأنبياء الذين قاتل معهم أتباعهم، وكأن اختلاف الأوجه الإعرابية، تتناسب مع اختلاف الأمم والأقوام التابعين للأنبياء .

فلو نظرنا إلى بداية الجملة الابتدائية :

ـ وكأين: لوجدنا فيها قراءتين[2]:

الأولى: (كائن) قرأ بها ابن كثير، وأبو جعفر .

الثانية: (كأين) وقرأ بها الباقون .

وهما لغتان معناهما معنى: (كم) التي يسأل بها عن العدد.

١ـ روح المعاني ج ٢ ص ٢٩٧

٢ـ ينظر الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه، (ت ٣٧٠هـ) تح د. عبد العال سالم مكرم، ص ١١٤ { دار الشروق . بيروت . ط. الرابعة، ١٤٠١هـ }

هذا بخلاف القراءات الشاذة[1] الواردة في هذه اللفظة القرآنية .

بالإضافة إلى اللغات التي ذكرها ابن جني حين قال :" فيها أربع لغات : كأيّ، وكاءٍ، وكأْي، وهي هذه القراءة،وكاءٍ في وزن كعٍ"[2]

ـ قاتل :وفيها أيضا قراءتان :

" قَرَأَ نَافِع وَابْن كثير وَأَبُو عَمْرو (وكأين من نَبِي قُتِلَ) بِضَم الْقَاف وَكسر

التَّاء أَي: وَكم من نَبِي قتل قبل مُحَمَّد (صلى الله عَلَيْهِ وسلم) وَمَعَهُ ربيون كثير، وحجتهم: أَن ذَلِك أنزل معاتبة لمن أدبر عَن الْقِتَال يوم أحد ... وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {قَاتل مَعَه} وحجتهم: قَوْله {فَمَا وهنوا} قَالُوا: لأَنهم لَو قتلوا لم يكن لقَوْله {فَمَا وهنوا} وَجه مَعْرُوف؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيل أَن يوصفوا بِأَنَّهُم لم يهنوا بَعْدَمَا قتلوا ... وَحجَّة أُخْرَى أَن: {قَاتل} أبلغ فِي مدح الْجَمِيع من معنى قتل؛ لأن الله إِذا مدح (من قتل) خَاصَّة دون من قَاتل لم يدْخل فِي المديح غَيرهم، فمدح من قَاتل أَعم للْجَمِيع من مدح من قتل دون من قَاتل لِأَن الْجَمِيع داخلون فِي الْفضل وَإِن كَانُوا متفاضلين"[3]

---

١ ـ ومنها: "قراءة ابن محيصن والأشهب والأعمش (وكأي ... في وزن (كعْي)،" المحتسب ج ١ ص ١٧٠.

٢ ـ المحتسب ج ١ ص ١٧٠

٣ ـ حجة القراءات لأبي زرعة عبدالله بن محمد بن زنجلة (ت حوالي ٤٠٣هـ) تح/ سعيد الأفغاني ص ١٧٥ ، ١٧ { دار الرسالة . بيروت .ط. الخامسة ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م}

وهناك قراءة شاذة وردت في المحتسب وهي:" قراءة قتادة : {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِّلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ}، مشددة "[١]

وفي ربيون ثلاثة أوجه: "(الرِّبِّيُّونَ) بِكَسْرِ الرَّاءِ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ، وَقِرَاءَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِضَمِّهَا[٢]، وَابْنِ عَبَّاسٍ بِفَتْحِهَا[٣]، ثَلَاثُ لُغَاتٍ."[٤]

ويرى الزمخشري أن :" الفتح على القياس، والضم والكسر من تغييرات النسب"[٥].

ـ الوحدة التركيبية الثانية: ـ { فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ }

جاء بالنفي في هذا التركيب؛ لينفي عن الربيين هذه الصفات، ويثبتها لبعض المقاتلين في غزوة أحد .

وفي ذلك يقول الرازي:" وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم ."[٦]

---

١ ـ المحتسب ج ١ ص ١٧٣

٢ ـ وردت في المحتسب ، منسوبة إلى:علي وابن مسعود وابن عباس وعكرمة وآخرين ، ونسبها ابن جني إلي لغة تميم ينظر المحتسب ج ١ ص ١٧٣.

٣ ـ وردت في المحتسب منسوبة لابن عباس ج ١ ص ١٧٣

٤ ـ القرطبي ج ٤ ص ٢٣٠

٥ ـ الكشاف ج ١ ص ٤٢٤

٦ ـ مفاتيح الغيب للرازي ج ٩ ص ٢٣

ـ الوحدة التركيبية الثالثة : ـ {وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ}

هذا تركيب تحفيزي تشجيعي لمدح صنيعهم ، وصنيع من سار على هديهم، ووصفهم بلقب: الصابرين؛ والنص على حبه لهم، مكافأة منه تعالى لهم، ولكل من فعل أفعالهم، "والمراد بالصابرين إما الربيون، والإظهار في موضع الإضمار للتصريح بالثناء عليهم بالصبر الذي هو ملاك الأمر مع الإشعار بعلة الحكم، وإما ما يعمهم وغيرهم وهم داخلون في ذلك دخولا أوليا"[1].

ـ الوحدة التركيبية الرابعة ـ { وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ }

أسلوب قصر يفيد تعيين القول الذي قالوه: يقول ابن عاشور: "فصيغة القصر في قوله: { وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ } قصر إضافي لردّ اعتقاد من قد يتوهمّ أنَّهم قالوا أقوالاً تنبئ عن الجزع، أو الهلع، أو الشكّ في النَّصر، أو الاستسلام للكفار .

وفي هذا القصر تعريض بالَّذين جزِعوا من ضعفاء المسلمين أو المنافقين فقال قائلهم: لو كلّمنا عبد الله بن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان"[2] .

" وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: (وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ) بِالرَّفْعِ، جَعَلَ الْقَوْلَ اسْمًا لكانَ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا قَوْلَهُمْ: (رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) وَمَنْ قَرَأَ بِالنَّصْبِ جَعَلَ الْقَوْلَ خَبَرَ كَانَ، وَاسْمُهَا (إِلَّآ أَن قَالُواْ)"[3].

---

١ ـ روح المعاني ج ٢ ص ٢٩٧

٢ ـ التحرير والتنوير ج ٤ ص ١٢٠

٣ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ٢٣١

ـ الوحدة التركيبية الخامسة : {رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧}

اشتمل هذا التركيب على أسلوب نداء حذف منه الآداة ؛ لأن غرضه الدعاء، ولعل السر في حذف الآداة، مع نداء الرب في القرآن: " أنّ المنَادى هو في أقرب منازل القرب من المنادِي، حتّى لَمْ يحتج إلى ذكر أداة نداءٍ لَهُ لشدّةِ قُربِهِ، وهذا يليق بمقام دُعاءِ الرّبّ جلّ وعلا"[1]

قال ابن عجيبة: " رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا الصغائر، وَإِسْرافَنا فِي أَمْرِنا أي: ما تجاوزنا به الحد في أمر ذنوبنا، كالكبائر، وَثَبِّتْ أَقْدامَنا في مداحض الحرب لئلا ننهزم، وَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ من أعدائنا، فَهلاَّ فعلتم مثلهم، وقلتم ذلك يا أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلم."[2]

ولعلهم " خَصُّوا الْأَقْدَامَ بِالثَّبَاتِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْجَوَارِحِ لِأَنَّ الِاعْتِمَادَ عَلَيْهَا"[3].

---

١ ـ البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت١٤٢٥هـ) ج ١ ص ٢٤٢{ دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت .الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م}.

٢ ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ) تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان ج ١ ص ٤١٧ {القاهرة ، ١٤١٩ هـ}.

٣ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ٢٣١

ـ الوحدة التركيبية السادسة : { فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ }

هذه الجملة المصدرة بالفاء: "إِعْلَامٌ بِتَعْجِيلِ إِجَابَةِ دَعْوَتِهِمْ لِحُصُولِ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَثَوَابُ الدُّنْيَا هُوَ الْفَتْحُ وَالْغَنِيمَةُ، وَثَوَابُ الْآخِرَةِ هُوَ مَا كتب لَهُم حِينَئِذٍ مِنْ حُسْنِ عَاقِبَةِ الْآخِرَةِ، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُ بِقَوْلِهِ: وَحُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ لِأَنَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى"[1].

فهو إخبار من الله تعالى لعباده: أن من اتبع طريقه، وصبر في نصرة دينه، ولجأ إلى ربه بإخلاص الرجوع إليه، والدعاء له، فإن نصره واقع لا محالة، وأن هذا النصر سيكون على دفعتين، دفعة منه معجلة في الدنيا، ودفعة منه مؤجلة للأخرة، ولا يخفى تأثير الفاء في النفس البشرية، والتي أفادت أن الثواب أعقب الدعاء مباشرة دون تراخ، ويفهم من هذه الآية الكريمة:" أنّ من أراد ثوابَ الدنيا لم يحصل له ثواب الآخرة، وأنّ من أراد الآخرة حصلت له الدنيا والآخرة معا"[2]

ـ الوحدة التركيبية السابعة: { وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }

لم يكتف الكريم سبحانه بمنحهم ثواب الدنيا، وحسن ثواب الآخرة، وإنما أمثال هؤلاء يستحقون الجائزة الكبرى، والمكافأة العظيمة؛ ليستمروا على هذا النهج الصحيح، وهذه المكافأة هي: تقليدهم وسام (المحسنين)، وتبشيرهم بالبشرى الكبرى وهي: حب الله لهم.

---

١ ـ التحرير والتنوير ج ٤ ص ١٢١

٢ ـ تفسير الراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) تح/ د. هند بنت محمد بن زاهد سردار ج ٣ ص ٩٠٢، ٩٠٣ {كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى ،ط. الأولى: ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م}

تعقيب

اشتمل الخطاب القرآني على عدة مناهج ربانية تربوية، من شأنها رسم الخطى للمربين، وللدعاة إلى الله تعالى، في توجيه الإنسان إلى السلوك الحسن المستقيم، مع مراعاة إنسانيته على الرغم من انحرافه عن المنهج السليم، على النحو التالي :

أولا: عرض القصص المشابه للحدث للاقتداء والاعتبار:

يحتاج الخطاب الموجه للسلوك في أحيان كثيرة لضرب الأمثال، وعرض القصص؛ للاقتداء والاعتبار؛ لذلك بدأ الله الآيات التي معنا ببيان أحوال الأمم السابقة مع أنبيائهم، في مثل الحالة التي كانوا عليها؛ ليقتدوا بهم، ويسيروا على منهاجهم .

ويمتاز القصص القرآني في القرآن بمميزات عديدة منها[1]:

١ـ نَسْجُ نَظْمِهَا عَلَى أُسْلُوبِ الْإِيجَازِ لِيَكُونَ شَبَهُهَا بِالتَّذْكِيرِ أَقْوَى مِنْ شَبَهِهَا بِالْقَصَصِ.

٢ـ أَنَّ الْقَصَصَ بُثَّتْ بِأُسْلُوبٍ بَدِيعٍ إِذْ سَاقَهَا فِي مَظَانِّ الِاتِّعَاظِ بِهَا مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْغَرَضِ الْأَصْلِيِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ تَشْرِيعٍ وَتَقْرِيعٍ.

وهذا ما لمسناه في الآيات موضوع الدراسة .

ثانيا: التعريض بأخطاء المخاطبين لتوجيه سلوكهم دون التصريح بأخطائهم:

---

١ ـ ينظر التحرير والتنوير ج ١ ص ٦٣، ٦٤

وذلك ببيان أخطاء المخطئ دون تشهير به أو تجريح لمشاعره، على الرغم من عظم الخطأ، وللغة طرق عديدة تستطيع بها التعبير عن الرسالة المطلوبة، دون المساس بكرامة المخاطبين، وذلك عن طريق الاستعارة، المجاز، الكناية، التعريض.

وقد استعمل الخطاب القرآني التعريض في هذا المقام؛ لمناسبته لحال المخاطبين، والتعريض هو: " أن تقول كلاماً لا تُصرّح فيه بمرادكَ منه، لكنّه قد يشير إليه إشارة خفيّةً"١

فقال الله تعالي: { فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ }

فعرض بأفعالهم ولم يصرح بها، مراعاة لنفسياتهم، ولو أراد التصريح لقال:

(فصمدوا ووهنتم، وقووا وضعفتم، وعزوا واستكنتم).

وقال أيضا: { وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧.}

تعريضا بالَّذين جزِعوا من ضعفاء المسلمين أو المنافقين فقال قائلهم: لو كلّمنا عبد الله بن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان.

ثالثا: المنهاج الرباني، الذي يجب على الإنسان المسلم أن يتبعه في المواقف الصعبة والشدائد، وبخاصة الجهاد:

١ ـ البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني ج ٢ ص ١٥٢

وهذا المنهاج يقوم على دعامتين :

١ـ الصبر الذي يجب على المسلم التحلي به في الجهاد، والذي يمد الجسم بالقوة، ويمد النفس بالعزة وعدم الاستكانة.

٢ـ الدعاء بالثبات في المعركة، والنصر على الأعداء؛ ولن يتم ذلك إلا بعد اعتراف المسلم بتقصيره في حق خالقه، فيستغفر الله من هذه الذنوب صغيرها وكبيرها .

وكأن الله تعالى يعلمنا أن القوة التي يحتاجها المسلم في ملاقاة الأعداء، ليست قوة بدنية فحسب، بل هي قوة بدنية وروحية معا.

ومما يؤكد على أن هذا منهجٌ ربانيٌ، ما جاء على لسان سيدنا (هود) عليه السلام مخاطبا قومه : { وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢} (سورة:هود).

رابعا: اتباع لغة الترغيب والتشجيع والتحفيز في تقويم السلوك وتوجيهه:

ومن المؤكدات أيضا على أن هذا منهج رباني، يحثنا الله على اتباعه والسير عليه ، المحفزات والمرغبات التي ختم بها الله الآيتين اللتين وصفا بهما أفعال الربانيين الفعلية والقولية، وهي قوله ـ محفزا لهم على عدم الوهن والضعف والاستكانة ـ والله يحب الصابرين، وقوله: محفزا لهم على اللجوء إلى الله والتضرع إليه أن يغفر ذنوبهم، ويثبتهم، وينصرهم على أعدائهم بقوله: { وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ } .

وهذا منهج تربوي يضعه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لجميع خلقه من الذين يقومون على التربية، والتنشئة، والتدريب، في مختلف المجالات. (وهو منهج

: التحفيز، والترغيب، والتشجيع)، باستعمال المحفزات المعنوية، بجوار المحفزات المادية، لاحتياج النفس البشرية إليهما معا، فقد أعطاهم الله مكافأتين عظيمتين، وهما : النصر، والجنة، ولكنه زادهم مكافأة معنوية؛ لولا علمه تعالى باحتياجهم إليها لما منحهم إياها، هذه المكافأة هي حب الله تعالى لهم. فصدق الله العظيم حين قال :{ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨ }.

وقد صيغ كل ما سبق في سياق لغوي بديع، ينفذ إلى النفس بقوة، من خلال اختيار الوحدات الصوتية التي تناسب أحداث الكلمات، واختيار الصيغ والأوزان التي تساعد على إيصال التراكيب إلى قلب السامع، جُمِّل كل ذلك بتنوع التراكيب، التي تتناسب مع الحالة النفسية للمستقبل، فاستخدم الأساليب الخبرية مثبتها ومنفيها لتقرير الأفعال، واعتراف النفس البشرية بفعلها، مع تدعيمها بالتعريض دون التصريح، للوصول إلى الغرض المنشود مع الحفاظ على الحالة النفسية للمستقبل، فلا يحزن، ولا ييأس، ولكن يعتبر ويتعلم أن هذا هو ما كان يجب أن يفعله، وكذلك مستخدما للجمل الإنشائية كالدعاء الذي أعطى النفس البشرية دفعة لمعرفة متى يلجأ المسلم إلى الله، وسبق الدعاء بأسلوب القصر؛ ليحدد للمتلقي ماذا يقول إذا لجأ إلى الله في مثل هذا الموقف العصيب وهو مواجهة الأعداء.ولشدة الموقف واضطرابه بالأحداث مما يجعل النفس البشرية في شدة وضيق، كان لابد من سرعة المدد لهؤلاء، ودعمهم المادي والمعنوي في أسرع وقت؛ لذا أتي بحرف عطف يفيد التعقيب ليتناسب مع الحالة النفسية للمتلقي، ومنحهم الله مددا ماديا ومعنويا : { فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ }، ثم زادهم عطاء لصبرهم وإحسانهم فقال لهم { وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }.

المبحث الثالث : موضعا سورة (المائدة)

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: الموضع الأول من سورة: المائدة.

قول الله تعالى:{وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١.

المطلب الثاني : الموضع الثاني من سورة : المائدة.

قول الله تعالى:{ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣ }.

المبحث الثالث: موضعا سورة (المائدة)

المطلب الأول: الموضع الأول من سورة: المائدة

قال الله تعالى: {۞وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١}.

<u>أولا، وثانيا: علاقة الآيتين بما قبلهما وبيان معناهما:</u>

لم يتبين سبب نزول الآيتين، وبيان معناهما إلا ببيان علاقتهما بالآيات التي قبلها، وفي اتِّصال هاتين الآيتين بما قَبْلَهما وجُوه:

"أحدُهَا: أنه لما ذكر في الآية الأولى، وهو قوله:{وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ } (المائدة: ٧)، ذكر بَعْدَهُ أخذ الميثاق من بَنِي إسرائيل لكنَّهُم نَقَضُوه، وتَركُوا الوَفَاء به، أي فلا تكُونُوا مثل أولَئِك من اليَهُود في هذا الخُلُق الذَّمِيم، فَتَصِيروا مِثْلَهُم فيما نزل بهم.

وثانيها: لما قال تعالى: { ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ } (المائدة: ١١)، وقد تقدَّم في بعض رواياتِ أسْبَاب النُّزُول أنَّها نزلت في اليَهُود، وأنَّهم أرادوا إيقاع الشَّرّ برسُول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – فلما ذكر الله تعالى ذلك أتْبَعَهُ بِذِكْرِ فَضَائِحِهِمْ، وبيان أنَّهُم . أبداً . كانوا مُواظبِين على نَقْضِ المواثيق.

ثالثها: أنَّ الغَرض من الآيات المُتقدِّمة ترغِيبُ المكلَّفِين في قُبُول التكاليف وترك العصيان، فذكر تعالى أنَّه كلَّفَ من كان قَبْلَكُم كما كلَّفكم؛ لِتَعْلَموا أنَّ عادة الله في عِبَادِه أن يُكَلِّفَهُم، فليس التَّكْليف مَخْصوصاً بكم أيُّهَا المُؤمِنُون، بل هي عَادَةٌ جَارِيَةٌ له مع جَمِيع عِبَادِه"[1].

ثالثا: مناسبة الآيتين الكريمتين للمقصد العام للسورة:

ورد في نظم الدرر للبقاعي : أن مقصد سورة المائدة "الوَفاءُ بِما هَدى إلَيْهِ الكِتابُ؛ ودَلَّ عَلَيْهِ مِيثاقُ العَقْلِ مِن تَوْحِيدِ الخالِقِ؛ ورَحْمَةِ الخَلائِقِ؛ شُكْرًا لِنِعَمِهِ؛ واسْتِدْفاعًا لِنِقَمِهِ؛ وقِصَّةُ المائِدَةِ أدَلُّ ما فِيها عَلى ذَلِكَ؛ فَإنَّ مَضْمُونَها أنَّ مَن زاغَ عَنِ الطُّمَأْنِينَةِ بَعْدَ الكَشْفِ الشّافِي؛ والإنْعامِ الوافِي؛ نُوقِشَ الحِسابَ؛ فَأخَذَهُ العَذابُ"[2]

فالتناسب واضح بين المقصد العام للسورة وبين الآيتين الكريمتين اللتين بدأتا بقوله تعالى: { وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ } ثم بينت الأيتان ثواب وجزاء الموفين بالعهد والميثاق، وعقاب من نقضوا عهد الله وميثاقه.

والعلاقة واضحة بشدة بين الآيتين وبداية السورة الكريمة {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ } (المائدة آية (١)).

---

١ ـ اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ) تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ج ٧ ص ٢٤٦{ دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان. ط ، الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م}

٢ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج ٢ ص ٣٨٤

التي تدل دلالة واضحة على أن: "كُلّ عَهْدٍ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَنَا بِهِ ابْتِدَاءً، وَالْتَزَمْنَاهُ نَحْنُ لَهُ، وَتَعَاقَدْنَا فِيهِ بَيْنَنَا، فَالْوَفَاءُ بِهِ لَازِمٌ بِعُمُومِ هَذَا الْقَوْلِ الْمُطْلَقِ الْوَارِدِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْنَا فِي الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِهِ"[1].

رابعا : تأثير الوحدات اللغوية داخل الخطاب القرآني على المتلقي، وتوجيه السلوك الإنساني:

أ. الوحدات الصوتية وإيحاءاتها:

- مِيثَاقَ:

جاء في العين: "الوَثيقُ: المحكم ... والوِثاقُ: الحبل، ويجمع على وُثُقٍ مثل رباط وربط، وناقة وثَيقةٌ وجمل وَثيقٌ. والوَثيقةُ في الأمر: إحكامه والأخذ بالثِّقةِ"[2]

" وَالْمَوْثِقُ وَالْمِيثَاقُ الْعَهْدُ وَجَمْعُ الْأَوَّلِ مَوَاثِقُ وَجَمْعُ الثَّانِي مَوَاثِيقُ"[3]

وبالنظر إلى كلمة ميثاق أجدها بدأت بصوت الميم وانتهت بصوت القاف وكلاهما يحدثان عندما يلتقي عضوي النطق التقاء محكما، وهما في الميم الشفتان، وفي القاف أقصى اللسان وما يليه من الحنك الأعلى، وكلاهما يتسم بالغلق أوالإحكام ،عند نطق هذين الحرفين، ولولا غنة الميم، حيث يتجه الهواء ليخرج من الأنف، لما انحل إحكام العضوين مطلقا، ولظل

---

١ ـ أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت٥٤٣هـ) تح: محمد عبد القادر عطا ج ٢ ص ٧ { دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م}

٢ ـ العين (و ث ق)

٣ ـ المصباح المنير (و ث ق)

الهواء محجوزا خلف الشفتين، ولولا القلقلة في القاف لما انفك الإحكام الواقع بين عضوي النطق، ولم يقف الأمر عند إحكام التقاء عضوي النطق عند مخرج الحرف، فقد سبقهما إحكام آخر للوترين الصوتيين عند خروج النفس من بينهما في حرفي الميم والقاف؛ لأنهما حرفان شديدان .

هذا بالإضافة إلى اشتمال الكلمة على نوعين من المد:

الأول: مد بالياء، وقد أوحى إلي بمقدمات أخذ الميثاق، حيث ساندهم الله تعالى بأمرين هما: تنصيب النقباء عليهم، وكون الله معهم .

الثاني : مد بالألف، وقد أوحى إليّ هذا المد ببنود الميثاق، فقد تعددت بنود الميثاق فوصلت إلى خمسة بنود، وهي :{لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا }.

ولا يخفى ما في حروف المد من جهر، ووضوح سمعي يتناسب مع إحكام المواثيق، وإعلانها .

- وَعَزَّرْتُمُوهُمْ:

"والتَّعْزِيرُ: الإِعَانَة كالعَزْرِ يقال: عَزَرَه عَزْراً وعَزَّرَه تَعْزِيراً أَي أَعانَه، والتَّعْزِيرُ: التَّقْوِيَةُ كالعَزْرِ أَيضاً، يقال: عَزَرَه وعَزَّرَه إِذا قَوّاهُ . والتَّعْزِير: النَّصْرُ بالسيف كالعَزْرِ أَيضاً يقال: عزَرَهُ وعَزَّرَه إِذَا نَصَرَهُ"[1]

اشتملت هذه اللفظة القرآنية على ثلاثة حروف مجهورة هي: (العين والزاي والراء) وهذا الجهر يتناسب مع القوة المطلوبة في نصرة الأنبياء ومنعهم ممن يتعرض لهم بسوء، وقد زاد المعنى قوة (الصفير) الموجود في

١- تاج العروس من جواهر القاموس (ع ز ر)

صوت(الزاي)، ثم (التكرار) الملازم لصوت (الراء)، ودعم كل ذلك ، بصيغة التضعيف (عزّر) للتأكيد على النصرة، مع تعظيم الرسل ففي الوسيط "التعزير بمعنى النصر والإعانة مع التعظيم والتفخيم يقال: عزر فلان فلانا إذا نصره وقواه، وأصل معناه: المنع والذب لأن من نصر إنسانا منع عنه أعداءه"١.

ـ ضَلَّ:

ورد في العين: "ضَلَّ يَضِلُّ إذا ضاعَ، يقال: ضَلَّ يَضِلُّ ويَضَلُّ .... وتقول: ضَلَلْتُ مكاني إذا لم تهتَدِ له: وضلَّ إذا جارَ عن القَصْد"٢

وفي مختار الصحاح: " ضَلَّ الشَّيْءُ ضاعَ وهَلَك "٣

اشتملت هذه اللفظة القرآنية على صوتين هما: (الضاد واللام المضعفة) وكلاهما صوت مجهور، ولكل صوت منهما صفة خاصة به، اعتبرهما علماء التجويد من صفات القوة، الصفة الأولى: الاستطالة، وهي صفة الضاد، والصفة الثانية : (الانحراف) وهي صفة اللام، وكأن الصفتين يحكيان حال الضال' الذي تطاول وتمادى في غيه وعصيانه، وكفر بعد عقد المواثيق والعهود، فانحرف عن طريق الهداية الموصل إلى الجنة، واتبع طريق الكفر والضلال .

يضاف إلى ذلك أن الضاد من حروف الاستعلاء، فكأن الضال استكبر واستعلى عن أن يتبع طريق الهداية، بعد أن بينه الله تعالى له .

---

١ ـ الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ج ٤ ص ٨٠

٢ـ العين (ض ل ل)

٣ ـ مختار الصحاح (ض ل ل)

ـ العفو والصفح:

ـ العفو:

"تركُكَ إنساناً استوجَبَ عُقوبةً فعفوتَ عنه"١ وأصله من:" عَفَا الْمَنْزِلُ يَعْفُو عَفْوًا وَعُفُوًّا وَعَفَاءً بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ: دَرَسَ، وَعَفَتْهُ الرِّيحُ يُسْتَعْمَلُ لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًا وَمِنْهُ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَيْ مَحَا ذُنُوبَكَ"٢

ـ الصفح :

"يقال: صَفَحْتُ عن ذَنْب فلان أي أعْرضت عنه فلم أؤاخِذه به."٣

وأصله: "الصَّفْحُ: الجَنْبُ من كلِّ شيءٍ. وصَفْحا السَيْف: وَجْهاهُ. وصَفْحةُ الرجلِ: عُرْضُ صَدره وسَيْفٌ مُصَفَّحٌ ومُصْفَح وصَدرٌ مُصْفَحٌ: أي عَريض"٤

وفي المحكم : "صَفْحُ كل شيء: جانبه، ونظر إليه بصَفْحِ وجهه وصُفْحِهِ، ولقيه صِفاحا، أي استقبله بصَفْحِ وجهه "٥

ولعل الصفح هنا يعني أعطيت جانبك للذنب وأهملته، ولم تعتد به، يقول ابن فارس: " فأمَّا قولهم: صَفَح عنه، وذلك إِعْراضُهُ عن ذنْبِهِ، فهو من

---

١ ـ العين (ع ف و)
٢ ـ المصباح المنير (ع ف و)
٣ ـ تهذيب اللغة (ص ف ح)
٤ ـ العين (ص ف ح)
٥ ـ المحكم والمحيط الأعظم (ص ف ح)

البـابِ؛ لأنَّـه إذا أعـرضَ عنـه فكأنَّـه قـد ولاَّه صَـفْحتَه وصُـفحه، أي عُرضـه وجانِبَه."١

ولو تأملت اللفظتين القرآنيتين (العفو والصفح) لوجدت أن العفو أصله المحو، فكأن الذنب موجود ولكن مَنْ يعفو محاه، ولم يعاقب عليه؛ لكنه رصده وعرفه ووقع في نفسه، لكنه لم يعاقب به، ولم يؤاخذ به؛ ولكن قد يتذكره منك، إذا عدت إلى مثله، أو إلى ذنب آخر .

أما الصفح فلأنه مأخوذ من: صفح كل شيء جانبه، فكأن الصافح قد ترك النظر إلى الذنب، ولم يرصده، بل أعطاه جانبه، واعتبره كأن لم يكن؛ لذلك فهو لا يتذكره إذا عدت لمثله، ولا يعاتبك عليه بعد صفحه أبدا .

يقول المناوي: "الصفح ترك التأنيب وهو أبلغ من العفو فقد يعفو ولا يصفح وصفحت عنه أوليته مني صفحة جميلة معرضا عن ذنبه بالكلية"٢

ولو نظرنا إلى أصوات اللفظتين لوجدنا الصوت المحوري في اللفظتين هو صوت (الفاء) وهو صوت: مهموس، رخو ، منفتح، مستفل، مرقق. يجمع كل صفات الضعف، وهو يتناسب مع المعنى الرئيسي في اللفظتين، وهو مطلق العفو عن الذنب، وعدم المؤاخذة عليه، أما المعنى الخاص بالعفو، وهو (المحو) فيمثله صوت العين بصفاته الضعيفة أيضا وهي :

---

١ ـ مقاييس اللغة لابن فارس (ص ف ح)

٢ـ التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي. تح/ د. محمد رضوان الداية ص ٤٥٧ { دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق .الطبعة الأولى ١٤١٠هـ }

التوسط، والانفتاح، والاستفال، وأما المعنى الخاص بالصفح وهو الإعراض فيمثله صوت الصاد، بما فيه استعلاء وإطباق وإصمات وصفير .

وأما الصوت الثالث في كلا اللفظين تناسب أيضا مع المعنى بمخرجه: ففي العفو، الواو من الشفتين تتناسب مع وضوح الذنب ووجوده ثم العفو عنه،

وفي الصفح الحاء من الحلق، فمن صفح اعتبر الذنب غير موجود وهذا يتناسب مع مخرج الحلق، وبعده عن الرؤية والمعاينة كالواو.

ب ـ الوحدات الصرفية:

ـ نقيب:

ورد في العين:"والنَّقيبُ: شاهد القوم يكون مع عريفهم أو قبيلهم، يسمع قوله، ويصدق عليه وعليهم ... والنُّقَباء الذين ينقِّبُون الأخبار والأمور للقوم فيصدقون بها"[1]وهو مأخوذ من: "النَّقْبُ في الحائط ونحوه يخلص فيه إلى ما وراءه"[2]

" وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ نَقِيبٌ؛ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ دَخِيلَةَ أَمْرِ الْقَوْمِ وَمَنَاقِبَهُمْ، وَالْمَنَاقِبُ تُطْلَقُ عَلَى الْخِلْقَةِ الْجَمِيلَةِ، وَعَلَى الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ"[3].

يفهم مما سبق أن صيغة فعيل هنا " بمعنى فاعل مشتقا من النقب بمعنى التفتيش ، ومنه: { فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ }(ق : ٣٦)، وسمي بذلك لتفتيشه

١ـ العين (ن ق ب)

٢ـ السابق

٣ـ أحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص٨٣

عن أحوال القوم وأسرارهم ، وقيل : بمعنى مفعول كأن القوم اختاروه على علم منهم ، وتفتيش على أحوالهم"[١]

ولعل السر في اختيار الخطاب القرآني: لصيغة فعيل: لتؤدي معنى اسم الفاعل أو اسم المفعول "أن صيغة فعيل لها ظلال وإيحاءات متعددة، فهي تأتي للمبالغة، وتأتي صفة مشبهة، وتأتي مصدرا، وغير ذلك، فقد يكون السر في اختيارها هو الإفادة من ظلال تلك الصيغة المتعددة المعنى ... حيث يتسلل إلى المعنى الأصلي ... معنى المبالغة، كما يتسلل معنى الصفة المشبهة الدالة على الثبوت والدوام "[٢]

ـ معكم

أفاد هذا الظرف فائدة كبيرة جدا " في الترغيب والترهيب"[٣] فعلى الرغم من قلة حروفه فقد أفاد معاني كثيرة، فكأنه سبحانه وتعالى . قال: "إني معكم بالعلم والقدرة فأسمع كلامكم، وأرى أفعالكم، وأعلم ضمائركم، وأقدر على إيصال الجزاء إليكم"[٤] فهل بعد معية الله تعالى شيء. فإذا كان الله معك فمن عليك ؟! وإذا كان الله عليك فمن معك ؟!. يالها من لفظة قصيرة تحمل معاني لا حصر لها .

ـ قرضا :

١ـ روح المعاني ج ٣ ص ٢٥٨

٢ـ الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية د/ عبد الحميد أحمد هنداوي ص ١٠٥ { عالم الكتب الحديث ،إربد، الأردن، ط. الأولى . ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م }.

٣ـ مفاتيح الغيب ج ١١ ص ١٤٧

٤ـ السابق ج ١١ص ١٤٧

كان حقه أن يقال في غير القرآن: وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ إقْراضاً حَسَناً، فلماذا عدل عن مصدر الرباعي، وأتى بمصدر الثلاثي؟! .

ورد في المصباح: " الْقَرْضُ مَا تُعْطِيهِ غَيْرَكَ مِنْ الْمَالِ لِتُقْضَاهُ وَالْجَمْعُ قُرُوضٌ مِثْلُ فَلْسٍ وَفُلُوسٍ وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَقْرَضْتُهُ الْمَالَ إقْرَاضًا وَاسْتَقْرَضَ طَلَبَ الْقَرْضَ وَاقْتَرَضَ أَخَذَهُ"[1] .

ولعل السر في ذلك كما قال القرطبي:" قد تفعل العرب ذلك كثيرًا: أن يأتوا بالمصادر على أصول الأفعال، وإن اختلفت ألفاظها في الأفعال بالزيادة، وذلك كقولهم: (تكلم فلان كلامًا)، ولو أخرج المصدر على الفعل لقيل: (تكلم فلان تكلمًا) "[2]

أو أن قرض وأقرض بمعنى واحد؛ فأتى بمصدر الفعل قرض مع أقرض فيقول: " أخرج مصدرًا من معناه لا من لفظه. وذلك أن في قوله: (أقرض) معنى (قرض)، كما في معنى (أعطى) (أخذ). فكان معنى الكلام: وقَرَضْتم الله قرضًا حسنًا، ونظير ذلك:{وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧}(سورة نوح) إذ كان في (أنبتكم) معنى (فنبتم)"[3]

أما القرطبي فقال: " وَهَذَا مِمَّا جَاءَ مِنَ الْمَصْدَرِ بِخِلَافِ الْمَصْدَرِ كَقَوْلِهِ: { وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ }، {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٖ حَسَنٖ}(آل عمران٣٧) ... وَقِيلَ: (قَرْضاً) اسْمٌ لَا مَصْدَرَ "[4].

١ـ المصباح المنير (ق ر ض)

٢ـ جامع البيان في تأويل القرآن ج ٦ ص ٣٤٤

٣ـ جامع البيان في تأويل القرآن ج ١٠ ص ١٢٢

٤ـ الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١١٤

فيتضح مما ذكره الطبري والقرطبي أن: مجيء كلمة (قرضا) على هذه الهيئة له عدة تعليلات، أولها: أن العرب كثيرا ما تأتي بالمصادر على أصول أفعالها، على الرغم من مجيئها على صيغة الزيادة، ثانيها: أنها من فعل وأفعل بمعنى واحد، ثالثها: أنها اسم وليست مصدرا .

ـ لأكفرن :

اجتمع على الفعل مورفيمان للتأكيد، الأول: لام القسم، والثاني نون التوكيد الثقيلة وقد نص السيوطي على أن: " نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثا، والخفيفة بمنزلة تكريره مرتين "[1]، هذا بالإضافة إلى مورفيم المضارعة الذي يدل على التجدد، فكأنهم لو حفظوا العهد والميثاق، لكفر الله جميع الذنوب التي تصدر منهم، بعد الإيمان، وآداء الفرائض.

ـ قاسية وقسية :

" قرأ الجمهور من السبعة: قاسية اسم فاعل من قسا يقسو. وقرأ عبد الله وحمزة والكسائي: قسية بغير ألف وبتشديد الياء[2]، وهي فعيل للمبالغة كشاهد وشهيد. وقال قوم: هذه القراءة ليست من معنى القسوة، وإنما هي كالقسية من

١ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم ج ٣ ص ١٩٥ { مطبعة المشهد الحسيني . القاهرة . ط. الأولى ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م }

٢ـ تنظر القراءة في: تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري شمس تح / د.أحمد محمد مفلح القضاة ص ٣٤٦ { دار الفرقان – الأردن / عمان.ط. الأولى – ١٤٢١ هـ –٢٠٠٠م}.

الدراهم، وهي التي خالطها غش وتدليس، وكذلك القلوب لم يصلها الإيمان بل خالطها الكفر والفساد"[١]

فعلى القراءة الأولى: أصبحت قلوبهم: غليظة قاسية، لا تقبل الحق، وعلى القراءة الثانية: أصبحت قلوبهم فاسدة رديئة لمخالطتها للكفر.

ـ حظا

وجاءت حظا نكرة لتدل على تكثير ما نسوه من كتابهم المقدس: "وَالْحَظُّ النَّصِيبُ، وَتَنْكِيرُهُ هُنَا لِلتَّعْظِيمِ أَوِ التَّكْثِيرِ بِقَرِينَةِ الذَّمِّ"[٢]. والمقصود: "أي : تركوا نصيبا كبيراً مما أمرتهم به شريعتهم وذكرتهم به توراتهم من وجوب اتباعهم للحق وإيمانهم بمحمد – صلى الله عليه وسلم – عند ظهوره"[٣]

ـ تَطَّلِعُ

واعتمادا على قاعدة زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى جاءت تطلع هنا على: "صِيغَةُ الِافْتِعَالِ فِيهِ لِمُجَرَّدِ الْمُبَالَغَةِ، إِذْ لَيْسَ فِعْلُهُ مُتَعَدِّيًا حَتَّى يُصَاغَ لَهُ مُطَاوِعٌ، فَاطَّلَعَ بِمَنْزِلَةِ تَطَلَّعَ"[٤]

١ـ البحر المحيط : لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) تح صدقي محمد جميل ، ج ٤ ص ٢٠٤ { دار الفكر – بيروت، طبعة: ١٤٢٠ ه}

٢ـ التحرير والتنوير ج ٦ ص ١٤٤

٣ـ التفسير الوسيط . طنطاوي ج ٤ ص ٨٣

٤ـ التحرير والتنوير ج ٦ ص ١٤٤

ـ خائنة :

في خَائِنَةٍ ثَلاثةُ أوْجُه:

ـ أحدها: أنَّها اسم فاعل، والهاء لِلْمُبَالغة كـ (راوية، وعلاَّمة،ونسَّابة) أي: على شخص خائن.

الثاني: أن التَّاء للتَّأنيث، وأنّث على معنى: طائفة أو فرقة أو نفس أو فَعْلة خائنة.

قال ابن عبَّاسٍ: (على خَائِنَةٍ)، أي: على مَعْصِية، وكانت خِيَانَتُهُم نقض العَهْدِ، ومظاهرتُهمْ المُشْرِكين على حَرْبِ رسُول الله – صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم – وهَمّهم بِقَتْلِهِ وسمه ونحوها من الخِيَانَاتِ الَّتي ظَهَرَتْ منهم.

الثالث: أنها بمعنى المَصْدَرِ كـ (العافِيَة والعَاقِبَة والكاذِبَة واللاغية والواقِيَة)، قال تعالى: ﴿فَأُهْلِكُواْ بالطاغية﴾ (الحاقة: ٥) أي: بالطُّغيان.[١]

ج ـ الوحدات النحوية التركيبية:

تحتاج العهود والمواثيق إلى التأكيد عليها؛ دفعا للالتزام بها؛ يقول الفيروزابادي: "المِيثاق: عَقْدٌ يُؤكَّد بيمينٍ وعَهْد"[٢]. إذن لابد للميثاق من مؤكدات، فإذا كان الذي واثقته أو عاهدته، نقض عهدك وميثاقك مرات عديدة، كان ذلك أدعى لزيادة المؤكدات وتنوعها؛ لذلك اشتملت الآية الأولى

١ ـ اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ج ٧ ص ٢٥٤

٢ ـ بصائر ذوي التمييز ج ٥ ص ١٥٨

على مؤكدات كثيرة، كاللام، وقد، ولام القسم، ونون التوكيد، وإنَّ، والإظهار بدلا من الإضمار.

ـ الوحدة التركيبية الأولى: { وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ }

بدأت التراكيب اللغوية للسياق القرآني بالجملة الفعلية:" وَتَأْكِيدُ الْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ بِقَدْ وَبِاللَّامِ لِلِاهْتِمَامِ بِهِ"[1]

وأتى بلفظ الجلالة ظاهرا ولم يقل: ولقد أخذنا، كما قال: وبعثنا؛" لتربية المهابة، وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه، مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعي للانقطاع عما قبله"[2]

ـ الوحدة التركيبية الثانية: { وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ }

التفت من الغيبة الواردة في التركيب السابق إلى التكلم في هذا التركيب؛ لأن " الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"[3]

وهذا ما يتناسب مع سياق العهود والمواثيق .

وقد حدد عدد النقباء باثني عشر نقيبا:"من بنى إسرائيل لأنهم كانوا اثنى عشر سبطا، كما قال – تعالى . { وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ }[4] ولأن

---

١ ـ التحرير والتنوير ج٦ ص ١٣٩

٢ـ روح المعاني ج ٣ ص ٢٥٨

٣ـ الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين أبي عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني ص ٧٤ { دار إحياء العلوم – بيروت .ط.الرابعة ، ١٩٩٨م }.

٤ـ سورة الأعراف من آية ١٦٠

كل نقيب كان بمنزلة الرقيب على القبيلة التي هو منها يذكرها بالفضائل ويرغبها في اتباع موسى – عليه السلام – وينهاها عن معصيته"[1]

وقد اتخذ رسولنا النقباء يوم العقبة كما اتخذهم سيدنا موسى، ففي دلائل النبوة: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُمُ " ابْعَثُوا لِي مِنْكُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا كُفَلَاءَ عَلَى قَوْمِهِمْ فِيمَا كَانَ مِنْهُمْ، كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ أَحَدُ بَنِي النَّجَّارِ: نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَأَنْتَ نَقِيبٌ عَلَى قَوْمِكَ) فَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)،وَأَخَذَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا"[2]

ـ الوحدة التركيبية الثالثة : {وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ }

هذا التركيب، والتركيب السابق عليه، بمثابة مقدمات تحفيزية، تساعد بني إسرائيل على القيام ببنود العهد والميثاق الذي سيتم بينهم وبين الله، وكأن الله . تعالى . يقول لهم لقد دعمتكم بالنقباء ليتابعوكم في تنفيذ بنود الميثاق، ولم أكتف بذلك، فأنا مع كل فرد منكم ينوي تنفيذ وإبرام الميثاق، أساعده على الطاعة،أو مع النقباء ليوفقوا في مهمتهم؛ ليصلوا بكم إلى الفوز بالجزاء.

١ـ الوسيط ج ٤ ص ٧٩

٢ـ دلائل النبوة لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) تح/ د. عبد المعطي قلعجي ج ٢ ص ٤٥٢، ٤٥٣ {دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث.ط.الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م}

لذا قال الرازي:" قوله إِنِّي مَعَكُمْ خطاب لمن؟ فيه قولان : الأول : أنه خطاب للنقباء، أي وقال الله للنقباء إني معكم. والثاني : أنه خطاب لكل بني إسرائيل، وكلاهما محتمل"[1]

ـ الوحدة التركيبية الرابعة ومعطوفاتها: {لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّاتِكُمْ }

اجتمع في هذا التركيب القسم والشرط، فأتى الجواب للمتقدم منهما، يقول الزمخشري : "واللام في لَئِنْ أَقَمْتُمُ موطئة للقسم وفي لَأُكَفِّرَنَّ جواب له، وهذا الجواب سادّ مسدّ جواب القسم والشرط جميعا"[2]

ولا يخفى مافي أسلوبي الشرط والقسم من تنغيم صاعد، يبعث الهمة في النفس البشرية، على القيام ببنود العهد والميثاق.

ولترتيب هذه المواثيق يقول أبو حيان:" وقدّم الصلاة والزكاة على الإيمان تشريفا لهما، وقد علم وتقرر أنه لا ينفع عمل إلا بالإيمان قاله: ابن عطية. وقال أبو عبد الله الرازي: كان اليهود مقرين بحصول الإيمان مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكانوا مكذبين بعض الرسل، فذكر بعدهما الإيمان بجميع الرسل، وأنه لا تحصل نجاة إلا بالإيمان بجميعهم"[3]

١ـ مفاتيح الغيب ج ١١ ص ٣٢٣

٢ـ الكشاف ج ١ ص ٦١٥

٣ـ البحر المحيط ج ٤ ص ٢٠٣

ـ الوحدة التركيبية الخامسة ومعطوفها :{ لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ }.

جاء جواب القسم المغني عن جواب الشرط، مؤكدا باللام والنون؛ ليتناسب مع القوة المطلوبة في أخذ المواثيق.

وجاء التركيب: {وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ }.معطوفا على ما قبله: وهو "داخل معه في حكمه، متأخر عنه في الحصول ضرورة تقدم التخلية على التحلية"[1]

ـ الوحدة التركيبية السادسة: {فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ }

قيد الكفر بقوله: (بعد ذلك) أي: "بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم. مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ، ضلالاً لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك، إذ قد يمكن أن يكون له شبهة ويتوهم له معذرة"[2].

والفاء في قوله: فمن كفر: " لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب بالترهيب بَعْدَ ذلِكَ الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم أعني لَأُكَفِّرَنَّ"[3]

ترهيبا للمتعاقدين من نقد المواثيق؛ لما يترتب على ذلك من الضلال الذي يوصل للهلاك.وزيادة في حض النفوس على حفظ المواثيق، والوفاء بها.

١ـ روح المعاني ج ٣ ص ٢٦١

٢ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ج ٢ ص ١١٩

٣ـ روح المعاني ج ٣ ص ٢٦١

ـ الوحدة التركيبية السابعة : { فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ }

فبسبب نقضهم للميثاق لعناهم " فالباء سببية، وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس"[1]

وزيادة ما لتوكيد الكلام، وتمكينه في النفس يدل على أن" التأكيد بعلامة موضوعة كالتأكيد بالتكرير"٢

وللرد على القول بزيادة (ما) يقول الرافعي:"ثم الكلمات التي يظن أنها زائدة في القرآن كما يقول النحاة، فإن فيه من ذلك أحرفا: كقوله تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ }[3] وقوله {فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ }[4] فإن النحاة يقولون إن (ما) في الآية الأولى و(أن) في الثانية زائدتان، أي في الإعراب، فيظن من لا بصر له أنهما كذلك في النظم ويقيس عليه، مع أن في هذه الزيادة لونا من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته، فإن المراد بالآية الأولى تصوير لين النبي صلى الله عليه وسلم لقومه وإن ذلك رحمة من الله، فجاء هذا المد في (ما) وصفا لفظيا يؤكد معنى اللين ويفخمه، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تشعر بانعطاف وعناية لا يبتدأ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السياق"٥

١ـ روح المعاني ج ٣ ص ٢٦١

٢ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت : ٦٧١هـ) ج ٦ ص ١١٥

٣ ـ آل عمران من آية ١٥٩

٤ ـ يوسف من آية ٩٦

٥ـ إعجاز القرآن والبلاغة العربية ١٥٩

فكأن (ما) هنا بمدها الطويل أفادت تكرار النقض منهم، وأن اللعن لم يكن مباشرا لأول نقض ظهر منهم، وإنما يدل على أن النقض صدر منهم مرات عديدة ؛ فاستحقوا بذلك اللعن وقسوة القلب .

ـ الوحدة التركيبة الثامنة : {لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ }

هذا التركيب جاء مترتبا ومسببا عن التركيب السابق، فاللعن وقسوة القلوب مسببة عن نقض الميثاق والمعنى بسبب نقضهم للميثاق:" {لَعَنَّٰهُمۡ } طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية { وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ } يابسة لا رحمة فيها ولا لين"[1]

ـ الوحدة التركيبية التاسعة: {يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ}

جاء هذا التركيب الاستئنافي: " لبيان مرتبة قساوة قلوبهم، فإنه لا مرتبة أعظم مما ينشأ عنه الاجتراء على تحريف كلام رب العالمين، والافتراء عليه عز وجل"[2]

وبدأ التركيب بالفعل المضارع؛ " للحكاية واستحضار الصورة، وللدلالة على التجدد والاستمرار"[3]

وقصد بالتحريف هنا :" التغيير والتبديل، وسوء التأويل"[4]

١ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ) تح يوسف علي بديوي ج ١ ص ٤٣٤ { دار الكلم الطيب، بيروت .ط: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م }.

٢ـ روح المعاني ج ٣ ص ٢٦٢

٣ـ روح المعاني ج ٣ ص ٢٦٢

٤ـ النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصر تح : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ج ٢ ص ٢١{ دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان }

ـ الوحدة التركيبية العاشرة: {وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ}

بدأ هذا التركيب بالفعل الماضي على الرغم من أنه عطف على فعل مضارع سابق هو: (يحرفون)، وعطف عليه فعل مضارع لاحق هو: (ولا تزال) :" لِأَنَّ النِّسْيَانَ لَا يَتَجَدَّدُ، فَإِذَا حَصَلَ مَضَى، حَتَّى يُذَكِرَهُ مُذَكِّرٌ "[1]

ـ الوحدة التركيبية الحادية عشر: {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنۡهُمۡ }

وهذا التركيب الذي جاء خطابا للرسول (صلى الله عليه وسلم) يدل على استمرارية اتصافهم بالخيانة؛ لذا أتى بالجملة الفعلية المبدوءة بالفعل المضارع، ثم زادها تأكيدا بزيادة المبنى الوارد في صيغة (تطَّلع)، ثم بالهاء الواردة للمبالغة في خائنة على القول القائل بأنها اسم فاعل والهاء للمبالغة، كل ذلك ليدلل على أن الخيانة أصبحت طبعا فيهم منذ بداية وجودهم عبر العصور والقرون، إلى هؤلاء الذين تعاملهم وتعاهدهم، ولم ينج من هذه الخصلة المذمومة إلا القليل منهم.

ـ الوحدة التركيبية الثانية عشر : {إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ}

جاء الاستثناء هنا ليدل أن من بني إسرائيل من يحفظ العهد؛ لذا قال بعض المفسرين: "استثناء من الضمير المجرور في مِنْهُمْ والمراد بالقليل عبد الله بن سلام وأضرابه، الذين نصحوا لله تعالى ورسوله . صلّى الله عليه وسلّم . وجعله بعضهم استثناء من خائِنَةٍ على الوجه الثاني، فالمراد بالقليل الفعل القليل، ومن ابتدائية كما مر أي إلا فعلا قليلا كائنا منهم"[2]

١ـ التحرير والتنوير ج ٦ ص ١٤٤

٢ـ روح المعاني للألوسي ج ٣ ص ٢٦٢

ـ الوحدة التركيبية الثالثة عشر: {فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ }

بدأ التركيب بالفاء " الفصيحة[1]، أي: إذا عرفت هذا فاعف عمن جاءك معلنا توبته وانضواءه تحت لواء الدين القويم"[2]

وللمفسرين في هذا التركيب " قولان: أحدهما: أن حكمها ثابت فى الصفح والعفو إذا رآه، والثاني: أنه منسوخ، وفى الذي نسخه قولان :

أحدهما: قوله تعالى: {قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ} (التوبة: ٢٩)، وهذا قول قتادة .

والثاني: قوله تعالى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ } (الأنفال: ٥٨)"[3]

ولكن هناك سؤال لماذا عطف الصفح على العفو، على الرغم من أنه ذكر في آية آل عمران: (العافين عن الناس) فقط دون صفح، فهل في ذكرها فائدة دلالية؟

ويجيبنا على هذا التساؤل الإمام أبو زهرة قائلا :

١ـ الفاء الفصيحة: هى الدالة على محذوف قبلها، هو سبب لما بعدها. سميت فصيحة؛ لإفصاحها عما قبلها. وقيل: لأنها تدل على فصاحة المتكلم بها، فوصفت بالفصاحة على الإسناد المجازى، ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لأحمد بن علي بن عبد الكافي أبي حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) تح: الدكتور عبد الحميد هنداوي ج ١ ص ٥٩٧ {المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .ط. الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م}

٢ـ إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش ج ٢ ص ٤٣١

٣ـ النكت والعيون ج ٢ ص ٢١

"العفو معناه في مثل هذه:عدم مقابلة الإساءة بمثلها، والتجافي عنها، وترك المؤاخذة عليها، والصفح معناه: ترك المؤاخذة، وترك اللوم والتثريب، بل ترك العتاب عليها؛ ولذلك قالوا: إن الصفح أعلى رتبة من العفو، وقال في ذلك الراغب الأصفهاني في مفرداته: وهو – أي الصفح – أبلغ من العفو؛ ولذلك قال تعالى:

(. . فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا. .)، وقد يعفو الإنسان ولا يصفح ولكن لَا يمكن أن يتحقق صفح من غير عفو، إذ العفو ترك المقابلة بالمثل ظاهرا، وقد يكون في النفس شيء، أما الصفح فإنه يتناول السماحة النفسية، واعتبار الإيذاء كأن لم يكن، في المظهر والقلب"[1].

فالخطاب القرآني يترقى بالنفس البشرية؛ لتأهيلها إلى الحصول على لقب: (المحسن)، فطلب منها في سورة آل عمران :

كظم الغيظ، وهي مرتبة عالية جدا من ضبط النفس الإنسانية، في المواقف التي تستدعي منها، الثورة، والانتقام، ثم أخبرنا ـ سبحانه وتعالى ـ أننا لن نصل لدرجة المحسنين بكظم الغيظ وكفى، بل لابد من ترقية نفسك إلى درجة أسمى وأعلى لتصل إلى المكافأة الربانية، هذه الدرجة هي: (العفو عن الناس).

ولما كانت سورة المائدة هي: آخر ما نزل من القرآن، كان لابد من التأكيد فيها على ترقية النفس الإنسانية، مرتبة عليا، هي مرتبة: (الصفح بعد العفو)، ولا يتنافى ذكر العفو والصفح في مواضع أخرى من القرآن، مع

---

١ ـ زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ) ج ٤ ص ٢٠٨٢{ دار الفكر العربي}

ذكرها في هذا الموضع، الذي يحث على الإحسان، والعمل بمقدماته، فقد جاءت كلها في سياق الإحسان[1].

ـ الوحدة التركيبة الرابعة عشر :{ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ}

جاء هذا التركيب القرآني البديع تعليلا للأمر السابق عليه (فاعف عنهم واصفح)، وكأن سائلا سأل، لماذا العفو والصفح ، فكانت الإجابة المؤكدة بإن لتفيد الربط بين الجملتين، كما تفيد تثبيت وتأكيد الخبر، فتحث على الامتثال به ، للحصول على الجائزة الكبرى لقب المحسنين ، فتنال بهذا الإحسان حب الله تعالى ؛ لأن الله يحب المحسنين .

تعقيب :

في هذاالخطاب القرآني ضرب الله مثلا باليهود في نقضهم العهود والمواثيق، وكان يهدف من ذلك إلى تحقيق بعض الفوائد، منها:

ـ ما تحمله الأمثال وأحوال الأمم السابقة من عبرة،ووعظ ، وتذكير، وحث ، وزجر ، يؤثر في نفوس المخاطبين، والمتلقين لهذا الخطاب .

---

١ ـ سورة البقرة أية ١٠٦ { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} .ولوتابعت هذا السياق القرآني ، لوجدت ذكر الإحسان، مما يدل على أن العفو والصفح من شيم المحسنين ، وهذه هي الآيات المكملة للسياق القرآني السابق : { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)}

ـ ما عاناه الرسول (صلى الله عليه وسلم)، من اليهود، وما تحمله من آذاهم، فأراد الله تعالى أن يفضحهم عند رسوله، ليعلم أن من طبائعهم الخيانة ونقض المواثيق .

ـ بيان التكاليف التي كلفت بها الأمم السابقة؛ ليعلم المسلمون أن الأصل في التشريعات أنها تقوم على التكاليف بالأعمال التي يصلح بها حال المكلفين .

وقد بين الله تعالى الميثاق الذي أخذه على اليهود، وبين شروطه، وبين ثواب من حفظ العهد، وجزاء وعقاب من نقض العهد والميثاق، مستخدما في كل ذلك اللغة القوية المؤكدة بمختلف المؤكدات لتتناسب مع العهود وعقد المواثيق .

فعلى مستوى الأصوات: وجدنا كيف عبرت الأصوات (الفونيمات)عن المعاني المعجمية والسياقية، بما تحمله هذه الأصوات من مخارج، وما تتصف به من صفات قوة أوضعف .

وعلى المستوى الصرفي: تنوعت المورفيمات تنوعا كبيرا قد لا يجتمع في غير هذا السياق، وذلك زيادة في تقوية النص حتى يتناسب مع سياق العهود والمواثيق فاستعمل على سبيل المثال: صيغة فعيل للدلالة على الفاعل والمفعول؛ لما تشتمل عليه من معنى المبالغة المتناسب مع السياق القرآني.

كما استعمل الظرف (مع)، في الدلالة على معية الله تعالى (فاشتمل في طياته على معان كثيرة، على الرغم من قلة حروفه .

كذلك استعمل المصدر في غير صورته القياسية؛ زيادة في التأثير على النفس، وجذب انتباه المخاطبين.

كما استعمل الصيغ المختلفة الناتجة عن تعدد القراءات القرآنية، مثل: (قاسية وقسيَّة)

ثم استعمل التنكير للتعظيم والتكثير ، واستعمل زيادة المبنى للدلالة على زيادة المعنى ، ولا يخفى ما تعكسه كل هذه الصيغ بدلالتها من تقوية للنص، وتأثير في قلوب وعقول المتلقين والمخاطبين .

وإذا انتقلنا إلى الوحدات التركيبية نجد أنها جاءت مدعمة بمؤكدات كثيرة تتناسب مع السياق، منها : (اللام، قد، نون التوكيد، إن،)، كما استعمل: الإظهار بدلا من الإضمار، الزيادة، والفاء الفصيحة، والالتفات الذي ينشط التلقي عند المتلقين، ويؤثر عليهم، ويزيد من انتباههم وإصغائهم .

المطلب الثاني: الموضع الثاني من (المائدة)

٥ـ قال الله تعالى: {لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ٩٣}

أولا: سبب نزول الآية :

" عن أنس بن مالك – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة، وكان خمرهم يومئذٍ الفضيخ فأمر رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مناديًا ينادي، ألا إن الخمر قد حُرِّمت، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة، فقال بعض القوم: قد قُتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله: (لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ)"١.

فهذه الآية كما قال الفيروزآبادي تعد من :" الجواب المجرَّد عن ذكر الابتداءِ ... فإنه فى جواب الصحابة: فكيف من شرب الخمر قبل تحريمها ومات. وفى سورة البقرة { وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ }[٢] فى جواب أُناس قالوا كيف: بمن صلَّى إلى بيت المَقْدِس قبل تحويل القبلة"٣

١ـ الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم بن عيد الهلالي (و) محمد بن موسى آل نصر ج ٢ ص ١١٣ { دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودي .ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ } . والحديث ورد في الجامع للبخاري تح/ ج ٤ ص ١٦٨٨حديث رقم ٤٣٤٤ باب : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) .

٢ ـ من آية (١٤٣)

٣ـ بصائر ذوي التمييز ج ١ ص ١١٢

ومن لم يعرف أسباب النزول أوَّل الآية على ظاهرها، فقد "حكي عن عثمان بن مظعون ، وعمرو بن معدي كرب، أنهما كانا يقولان : الخمر مباحة "١ ويحتجان بهذه الآية .

وهذا يدل على أهمية معرفة أسباب النزول في "الوقوف على المعنى، وإزالة الإشكال"٢؛ لذلك أكد الواحدي على :"امتناع معرفة تفسير الآية، وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها "٣

وهذا هو ما أطلق عليه اللغويون السياق الخارجي للنص، أومراعاة المقام فإن" الكشف عن معنى الجملة أو الجمل (النص) يتطلب معرفة الظرف الخارجي الذي قيلت فيه، فقد اهتم اللغويون العرب عموما وعلماء التفسير والحديث والبلاغيون بوجه خاص بمعرفة المقام أو الأحوال المصاحبة للحديث، كمعرفة حال المتكلم أو السامع أو البيئة العامة أو سبب نزول الآية، أو ورود الحديث، أو غير ذلك مما يسمى بالعناصر غير اللغوية التي تساعد في الكشف عن المعنى من النص "٤

ثانيا: معنى الآية الكريمة:

تشير الآية الكريمة إلى: " رفع الجناح عن المؤمنين في أى شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها إِذا مَا اتَّقَوْا ما حرم عليهم منها وَآمَنُوا

١ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٨٣

٢ـ الإتقان ج١ ص ٨٢

٣ـ أسباب النزول للواحدي ص ٨

٤ـ دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/ عبد الفتاح البركاوي ص ٥٨ { دار المنار بالقاهرة . ط. الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م }.

وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثم ثبتوا على التقوى والإيمان ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم، أو أحسنوا إلى الناس: واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات."[1]

ثالثا: مناسبة الآية الكريمة للمقصد العام للسورة :

"دار كل ما تضمنته سورة المائدة، على أمرين بارزين: تشريع المسلمين في خاصة أنفسهم وفي معاملة من يخالطون، وإرشادات لطرق المحاجة والمناقشة، وبيان الحق في المزاعم التي كان يثيرها أهل الكتاب، مما يتصل بالعقائد والأحكام، وفي سياق هذه المحاجة، تعرض السورة لكثير من مواقف الماضين، من أسلاف أهل الكتاب، مع أنبيائهم تسلية للنبي (ص) من جهة، وتنديدا بهم عن طريق أسلافهم، من جهة أخرى"٢.

ولا يخفى أن سؤال الصحابة عن حكم إخوانهم الذين ماتوا على فعل أمر حرم بعد وفاتهم، ورد على سبيل: "التَّثَبُّتَ فِي التَّفَقُّهِ،وَأَنْ لَا يَتَجَاوَزُوا التَّلَقِّي مِنْ رَسُول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي أُمُورِ دِينِهِمْ"٣.وهذا غاية التحري في التشريع، والامتثال لأوامر الله، والابتعاد عن نواهيه .

١ـ الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٦٧٦

٢ـ الموسوعة القرآنية، خصائص السور لجعفر شرف الدين، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجزي ج٢ ص ٢٠٧{ دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت .الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ}.

٣ـ التحرير والتنوير ج ٧ ص ٣٣

رابعا: تأثير الوحدات اللغوية داخل الخطاب القرآني على المتلقي، وتوجيه السلوك الإنساني:

أ ـ الوحدات الصوتية وإيحاءاتها:

ـ طَعِمُوْاْ : " طَعِمْتُهُ أَطْعَمُهُ مِنْ بَابِ تَعِبَ طَعْمًا بِفَتْحِ الطَّاءِ وَيَقَعُ عَلَى كُلِّ مَا يُسَاغُ حَتَّى الْمَاء وَذَوْق الشَّيْءِ"١

لما كان معنى (طعم) طعما يقع على كل ما يساغ، ولما كان أسغت الشيء من: " سَاغَ يَسُوغُ سَوْغًا من باب قال سهل مدخله في الحلق"٢ كان لابد لطَعِمَ من أن تشتمل في مخرجها على ثلاثة مخارج: (اللسان)؛ لأنه مصدر الذوق، (الحلق) لأنه مصدرالسوغ ؛ (الشفتين)؛ لأنه لا يتأتى ذوق أي طعام أو شراب، وإساغته أي بلعه دون المرور على الشفتين .وهذا ما كان بالنسبة لمخارج طعم، فالطاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، والعين حلقية، والميم من الشفتين.

ـ يُحِبُّ :

لما وجدتني لم أعرض لإيحاءات لفظ (الحب)،في المواضع السابقة؛ ولكني ذكرت معناه في الجانب النظري، رأيت أن أختم به الألفاظ التي اجتهدت في الوصول إلى إيحاءات أصواتها .

والحب هو : "الوداد ... والحب ميلٌ إلى الأشخاص أو الأشياء العزيزة "٣

١ـ المصباح المنير (ط ع م)

٢ ـ المصباح المنير (س ي غ)

٣ ـ الوسيط (ح ب ب)

ولما كان الحب يحتاج إلى عاطفة قلبية، وإعلان عنه بالقول، جمعت المادة المعجمية بين ثلاثة حروف أولها: الحاء وهو حرف حلقي، وثانيها، وثالثها الباء المشددة، وهو حرف شفوي، وكأن الحب يولد بالقلب، ويدوم وينمو بالقول عن طريق تغذيته بالعبارة الرقيقة، والكلمة الطيبة. ولو تأملنا جل الكلمات الدالة على الحب لرأينا اشتمالها على حرف من حروف الحلق مما يدل على أنه لابد للحب من وجوده في القلب أولا، ومن هذه الكلمات :

١ـ العلاقة: " الحب اللازم للقلب"١

٢ـ الهوى: "مصدر هَوِيتُهُ من باب تعب إذا أحببته وعلقت به"٢

٣ـ العشق: " الْإِفْرَاطُ فِي الْمَحَبَّةِ"٣

٤ـ الغرام : " وحب غَرامٌ أي لازم"٤

٥ـ اللَّوْعَةُ: "حُرْقَةٌ في القَلْبِ، وأَلَمٌ من حُبٍّ أو هَمٍّ أو مَرَضٍ. ولاعَهُ الحُبُّ أَمْرَضَه"٥

وأكبر دليل على أن الأصل في الحب خفقان القلب، ثم يعبر اللسان عما يجده من لوعة في حب محبوبه ، قول أبي بكر الشبلي في حب الذات العلية٦:

١ـ المحكم والمحيط الأعظم (ع ل ق)

٢ـ المصباح المنير (هـ و ي)

٣ـ السابق (ع ش ق)

٤ـ العين (غ ر م)

٥ ـ القاموس المحيط (ل و ع)

٦ـ ينظر: أحلى عشرين قصيدة في الحب الإلهي لفاروق شوشة ص ٣٥ {دار الشروق، ط. الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م }. والأبيات من بحر الطويل، مذكورة في تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) تح: ==

ذَكَرْتُكَ لَا أَنِّي نَسِيتُكَ لَمْحَةً وَأَيْسَرُمَا فِي الذِكْرِ ذِكْرُ لِسَانِي

وَصِرْتُ بِلَا وَجْدٍ أَهِيمُ مِنَ الهَوَى وَهَامَ عَلَيَّ القَلْبُ بِالخَفَقَانِ

فَلَمَّا أَرَانِي الوَجْدُ أَنَّكَ حَاضِرِي شَهَدْتُكَ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانِ

فَخَاطَبْتُ مَوْجُودًا بِغَيرِ تَكَلُّمِ وَشَاهَدْتُ مَعْلُومًا بِغَيْرِ عَيَانِ

وإذا كان هذا التحليل الذي ذكرناه ينطبق على الحب البشري، فإنه لا ينطبق على الحب الإلهي، فيجب علينا نحن المسلمين، أن ننزه صفات الله تعالى عن مشابهتها لصفات خلقه، كل ما علينا أن نؤمن بالصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه على سبيل الإجمال فيما جاء مجملا، وعلى وجه التفصيل فيما جاء مفصلا .

ب ـ الوحدات الصرفية:

ـ جُنَاحٌ:

وجاءت لفظة " (جُناح) نكرةٌ في سياق النفي؛ فتَعُمُّ الماضي والمستقبلَ والحالَ؛ لأنه نفى الجناحَ عن المؤمنين مطلقًا"١في جميع أحوالهم ، وأزمانهم.

==

الدكتور بشار عواد معروف ج ١٦ ص ٥٦٣ منسوبة لأبي بكر الشبلي الصوفي، ولد بسرَّ من رأى، وكان حاجب الموفق، وكان أبوهُ حاجب الحجاب { دار الغرب الإسلامي، بيروت .ط. الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م}.

١ـ المواهب الربانية من الآيات القرآنية للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تح /عمرو بن عبدالله بن محمد المقبل ص ١٢٨ { مركز تدبر للدراسات والاستشارات . الرياض . ط. الأولى ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م } .

ـ طَعِمُوٓاْ:

ورد الفعل هنا على سبيل التغليب" لِأَنَّ الْمُرَادَ نَفْيُ التَّبِعَةِ عَمَّنْ شَرِبُوا الْخَمْرَ وَأَكَلُوا الْمَيْسِرِ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ تَحْرِيمِهِمَا"[١].

ج ـ الوحدات التركيبية :

ـ الوحدة التركيبية الأولى: { لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ}.

من نظر لهذا التركيب مراعيا أسباب النزول قال: " اللَّفْظَ عَامٌّ وَمَعْنَاهُ الْخُصُوصُ"[٢].

ومن نظر إليه دون الرجوع إلى أسباب النزول قال: "هِيَ عَامَّةٌ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَى الْمُؤْمِنِ فِيمَا طَعِمَ مِنَ الْمُسْتَلَذَّاتِ إِذَا مَا اتَّقَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْهَا"[٣]

ـ الوحدة التركيبية الثانية:{إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ }

أسلوب شرط حذف جوابه: " دل عليه ما قبله، أي: فليس عليهم جناح"٤

ولتعليل ذكر الإيمان بعد التقوى على الرغم من أن التقوى مرحلة تالية للإيمان قال البقاعي :" ولما بدأ بالتقوى وهي خوف الله الحامل على البعد عن المحرمات، ذكر أساسها الذي لا تقبل إلا به فقال: { وآمنوا } ولما ذكر

١ـ التحرير والتنوير ج ٧ ص ٣٣

٢ـ البحر المحيط ج ٤ ص ٣٦٠

٣ـ السابق

٤ـ إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش ج ٣ ص ١٣

الإقرار باللسان، ذكر مصداقه فقال : { وعملوا } أي بما أداهم إليه اجتهادهم بالعلم لا اتفاقاً "١

ـ الوحدة التركيبية الثالثة: {ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ}

هذا التركيب معطوف على ما قبله " (ثم اتقوا): أي فاجتنبوا ما جدد عليهم تحريمه (وآمنوا) أي بأنه من عند الله، وأن الله له أن يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، وهكذا كلما تكرر تحريم شيء كانوا يلابسونه"[٢]

وسوف أذكر في ختام الآية أقوال المفسرين في هذا التكرار الوارد بالآية.

ـ الوحدة التركيبية الرابعة: {ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ}

كرر التقوى للمرة الثالثة وأتبعها بالإحسان:" للإشارة إلى أن كثرة مزاولة التقوى والعمل الصالح ينتهي إلى الإحسان"٣

والمقصود أنهم: "لازموا التقوى إلى أن أوصلتهم إلى مقام المراقبة، وهي الغنى عن رؤية غير الله، فأفهم ذلك أن من لم يبلغ رتبة الإحسان لا يمتنع أن يكون عليه جناح مع التقوى والإيمان"٤

و" الإحسان، هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال، ولكنه نوافلُ تقرَّبوا بها إلى رّبهم طلبًا لرِضاه، وهربًا من عقابه"٥ فمن يصل إلى هذه الدرجة من الطاعة فقد رفع عنه الجناح .

١ـ نظم الدرر ج ٢ ص ٥٣٩

٢ـ السابق ج ٢ ص ٥٣٩

٣ـ روح المعاني ج ٧ ص ٢٠

٤ـ نظم الدرر ج ٢ ص ٥٣٩

٥ ـ جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج ١٠ ص ٥٧٦

فهذه دعوى للنفس البشرية للترقي في الطاعات؛ للحصول على رتب الإسلام العليا وهي: الإيمان، ثم التقوى، ثم الإحسان، فمن وصل إلى هذه الرتبة، حصل على حب الله تعالى .

ـ الوحدة التركيبية الخامسة: { وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ }

هذه هي المكافأة الكبرى على الترقي في الطاعة بدأ بالإسلام، ثم الإيمان، ثم التقوى، فإنه الدرجة التي يترقى إليها الإنسان بعد التقوى هي: الإحسان، فكأن التركيب" تذييل مقرر لمضمون ما قبله أبلغ تقرير، وذكر بعضهم أنه كان الظاهر والله يحب هؤلاء فوضع المحسنين موضعه إشارة إلى أنهم متصفون بذلك."١

ـ أقوال المفسرين حول التكرار الوارد في الآية الكريمة

اختلفت أقوال المفسرين حول التكرار في الآية الكريمة على النحو الآتي:

قال الطبري: " فالاتقاء الأوّل: هو الاتقاء بتلقِّي أمر الله بالقَبُول والتصديق، والدينونة به والعمَل، والاتقاء الثاني: الاتقاء بالثبات على التصديق، وترك التبديل والتغيير، والاتقاء الثالث: هو الاتقاء بالإحسان، والتقرُّب بنوافل الأعمال"٢.

١ ـ روح المعاني ج ٤ ص ٢٠

٢ـ جامع البيان في تأويل القرآن ج ١٠ ص ٥٧٧

ومما ورد عن القرطبي : " أَنَّهُ لَيْسَ فِي ذِكْرِ التَّقْوَى تَكْرَارٌ، وَالْمَعْنَى: اتَّقَوْا شُرْبَهَا، وَآمَنُوا بِتَحْرِيمِهَا، وَالْمَعْنَى الثَّانِي: دَامَ اتِّقَاؤُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ، وَالثَّالِثُ: عَلَى مَعْنَى الْإِحْسَانِ إِلَى الِاتِّقَاءِ"[1].

وقال السعدي: "الأول: للماضي، والثاني: للحال، والثالث: في المستقبل. وبيانُ ذلك: أنَّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ أنَّ (جُناح) نكرةٌ في سياق النفي؛ فتَعُمُّ الماضي والمستقبلَ والحالَ؛ لأنه نفى الجناحَ عن المؤمنين مطلقًا، وهذا النفيُ العامُّ لا يَنطبق إلا على الأحوالِ الثلاثة، ويكون هذا التكرار من مُحترَزات القرآن، التي يحترز الباري فيها عن كل حالٍ تُقَدَّر وتُمْكِن؛ لأنهم لو اتَّقَوا في الماضي أو في الحالِ أو فيهما دون المستقبل؛ لم يَصدُق عليهم نفيُ الجناح، ولا بد في كل حالةٍ مِن الأحوال التي تُقام فيها التقوى مِن الإيمان والعمل الصالح، ومِن الإيمان والإحسان"٢

وهناك رأي آخر يرى أن التكرار جاء للتأكيد فقط فيقول: " كررت هذه الجمل على سبيل المبالغة والتوكيد في هذه الصفات، ولا ينافى التوكيد العطف بثم فهو نظير قوله: {كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون}."٣

١ـ الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٩٦

٢ـ المواهب الربانية ص ١٢٨

٣ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج ١١ ص ١٦

تعقيب :

هذه هي الآية الأخيرة من مواضع حب الله للمحسنين في القرآن الكريم، وقد جاءت لرفع الجناح عن صحابة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذين ماتوا وهم يشربون الخمر، أو يلعبون الميسر، قبل تحريمهما .

وقد اشتملت الآية على وجه من وجوه الفصاحة وهو التكرير أو التكرار، يقول السيوطي :"التكرير، وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة"[1].

تعقيب عام

التناسب السياقي والارتباط بين الآيات الخمس :

ـ بدأت الآيات الكريمات بموضع سورة البقرة، والذي أمر الله تعالى فيه عباده بالإنفاق في الجهاد، حتى لا يهلكوا بسبب تقصيرهم في إعداد العدة المناسبة لملاقاة العدو، ثم أمرهم زيادة على ذلك بالإحسان، وذلك لأن الله تعالى يحب المحسنين .

ـ ثم بين صفات هؤلاء المحسنين في الموضع الأول من آل عمران :

فأمر عباده بالإسراع إلى الجنة التي أعدت للمتقين، ثم عدد صفات المتقين وهي : الذين ينفقون في السراء والضراء، والذين يكظمون غيظهم، ولا ينفذونه، والذين يعفون عن الذنب، ومن كانت هذه صفاته فهو محسن ، والله يحب المحسنين.

١ـ الإتقان في علوم القرآن ج ٣ ص ١٩٩

ـ ثم بين في الموضع الثاني من آل عمران :

أن القتال الذي أمرهم الله به، وبإنفاق أموالهم فيه استعدادا لملاقاة العدو لم يفرض عليهم وحدهم ، ولكن فرض على الأمم السابقة، وقاتلوا مع أنبيائهم، ولم يهنوا كما وهنتم في غزوة أحد، ولم يضعفوا ولم يستكينوا مثلكم، ولكن صبروا وصمدوا ، واستغفروا ربهم من ذنوبهم صغيرها وكبيرها؛ تواضعا منهم لربهم وطلبوا التثبيت والنصر من الله، فكافأهم الله تعالى على صنيعهم فمن عليهم بالنصر في الدنيا، وحسن ثوابه في الآخرة، ومنحهم لقب المحسنين، وزادهم على كل ذلك حبه؛ لأنه تعالى : يحب المحسنين .

ـ ثم جاء الموضع الرابع وهو في سورة المائدة؛ ليؤكد على أن العفو من صفات المحسنين، ويأمر به نبيه، ويطالبه بأن يعلو درجة فوق العفو، وهي الصفح؛ لأنها درجة عليا من درجات الإحسان، والله سبحانه وتعالى يحب المحسنين.

ثم ختمت المواضع الخمس بموضع في سورة المائدة أيضا، وهي آخر سورة نزلت كاملة دفعة واحدة بالمدينة، بآية بمثابة البشرى للمؤمنين الذين أخلصوا الإيمان، واتقوا الله، ووصلوا إلى درجة الإحسان، لكنهم ماتوا وكانوا يشربون الخمر؛ لأنها لم تكن حرمت حال حياتهم، فلما حرمت الخمر قال بعض القوم: قد قُتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا.... الآية .

والذي ينظر في ارتباط الآيات وتسلسلها يتقين أن القرآن من أوله إلى آخره وحدة لغوية كاملة متكاملة؛ لا يصح دراسة جزء منه بمعزل عن باقي أجزائه وإلا جاءت الدراسة مبتورة غير وافية بالغرض المراد منها.

وقد اشتملت النصوص المذكورة على أصوات، وصيغ، وتراكيب تناسب السياق التي سيقت من أجله، كما تناسب النفوس البشرية على اختلاف أحوالها؛ مما يدلل على أن اللغة هي خير رسول للوصول إلى دواخل النفس، وخير موجه ومرشد للسلوك الإنساني للسير على الطريق المستقيم .

الخاتمة

بعد هذه المعايشة الروحانية التي قضيت فيها أسعد الأوقات في رحاب حب الله تعالى من خلال النص القرآني العظيم، أصل إلى نهاية البحث، وأسجل أهم مااشتمل عليه من نتائج .

ـ وضح البحث أن الله تعالى بدأ آيات حب الله لعباده، بحبه تعالى للمحسنين؛ وذلك لأن الإحسان يعتبر أعلى منازل العبودية، وهو لب الإيمان وروحه وكماله .

ـ بين البحث أن الآيات القرآنية الواردة في حب الله للمحسنين جاءت في خمسة مواضع مرتبة على النحو التالي :

موضع في سورة البقرة، وموضعان في سورة آل عمران، وموضعان في سورة المائدة ، وكلها سور مدنية ، من السور الطوال ، التي تتناول أحكام الإسلام، وحدوده، وتدعوا إلى الجهاد في سبيل الله .

ـ كشف البحث عن المقصد الأسمى لآيات حب الله لعباده، وهو ترغيب المسلم في القيام بالأعمال الواردة في الآيات، بفعل المأمورات، وترك المنهيات؛ ليصل إلى أسمى وأرقى ما تهفو إليه نفس المؤمن، وهو الفوز بحب الله تعالى، والحصول على صفة (المحسن) .

ـ كشف البحث عن السر وراء اختيار المولى عز وجل لصيغة اسم الفاعل من (أحسن) وهي (المحسنين) لتكون وصفا لمن خصهم الله ـ تعالى ـ بحبه في هذه الآيات ، وهو ما تتصف به هذه الصيغة من ثبوت ودوام، وهذا يدل على أن من اختصهم الله بحبه هم الذين أصبح الإحسان صفة لازمة لهم لا تنفك عنهم أبدا؛ لذلك استحقوا هذه المكانة العالية، وهي حب الله تعالى لهم .

ـ كشف البحث أن بعض آيات القرآن الكريم جاءت جوابا مجردا عن ذكر السؤال، وإنما يعرف السؤال من سياق المقام بالرجوع إلى أسباب النزول، كما في قوله تعالى : {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣) }.(سورة المائدة)، فإنه فى جواب الصحابة: فكيف من شرب الخمر قبل تحريمها ومات.

ـ أكد البحث على أنّ معرفة أسباب النزول تعد من العوامل التي تساعد في الوقوف على المعنى المراد، وإزالة الإشكال على القارئ، كما بين أن علماء العربية اعتبروا ذلك وأشباهه كسبب ورود الحديث، أو حال المتكلم، أو البيئة العامة للنص ... إلخ، اعتبروا كل ذلك من باب مراعاة المقام أو السياق الخارجي للنص .

ـ بين البحث أن الحديث الشريف، قد يمثل سياقا خارجيا للنص القرآني، فيفيد في الوصول إلى المعنى المراد.

ـ وضح البحث أن الوحدات الصوتية المستعملة في آيات حب الله للمحسنين ، ساعدت بما لها من إيحاءات على استجلاء أثر اللفظة في التركيب، ومن ثم أثر التركيب في النص، ومن ثم أثر النص في النفس البشرية.

ـ بين البحث أنَّ جل الكلمات الدالة على الحب اشتملت على حرف من حروف الحلق، كالعلاقة،والهوى، والعشق، والغرام، واللوعة.

ـ دلل البحث على أثر الصيغة الصرفية في التركيب، وأنه قد تستعمل الصيغة الخارجة عن القياس،مع المعنى الخارج عن المألوف كما في: (التهلكة).

ــ وضـح البحـث أن تنـوع التراكيـب فـي الخطـاب القرآنـي بـين الخبـر والإنشاء،وبين الأمر والنهي، يقوي النص ويزيد من قوة تأثيره على نفسية القارئ مما يساعد المتلقي على الامتثال لأوامر الخطاب وتجنب نواهيه، فيحصل المراد من توجيه السلوك نحو الاتجاه الصحيح .

ـ استعمل الخطاب القرآني في آيات حب الله للمحسنين عدة مناهج تربوية تساعد على توصيل الرسالة للمتلقي مع التأثير في النفوس، وتوجيه السلوك، منها:

١ـ الترهيب، كما في قوله تعالى: { وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } (البقرة ١٩٥)

٢ ـ سوق القصص للاعتبار كما في قوله تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ... الآية } (آل عمران ١٤٦)

٣ ـ التعريض بالسلبيات والأخطاء الفعلية والقولية ، مثال الفعلية قوله تعالى : { فَمَا وَهَنُوا ..... } (آل عمران ١٤٦)مثال القولية، قوله تعالى : { وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا... }(آل عمران ١٤٧)

٤ـ ضرب الأمثلة كما في قوله تعالى: { وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً..... } (المائدة من آية ١٣)

٥ـ الترغيب وهو كثير جدا في الآيات مما يدل على أن القرآن جاء رحمة للعالمين، وأنه بشرى من الله تعالى لعباده؛ لذلك فقد اشتملت الآيات على العديد من تراكيب الترغيب، وعلى رأسها التركيب المحوري الذي قام عليه هذا البحث وهو قول الله تعالى: {إن الله يحب المحسنين}.

ـ تعددت أساليب التعبير وطرق البلاغة المتبعة داخل الخطاب القرآني في الأيات موضوع الدراسة، نظرا لسياق الخطاب، بما يتناسب مع نفسية المتلقي، وتوجيه سلوكه، على النحو التالي :

١ـ في سياق الحث على الإنفاق، غلب على السياق أمران: التنوع في التراكيب، وحذف المفعول لإفادة العموم في (أنفقوا) ، (وأحسنوا).

٢ـ في سياق المسارعة إلى الجنة،غلب على الخطاب الحذف ، تناسبا مع الأمر بالمسارعة .

٣ـ في سياق ذكر حال الأمم السابقة مع أنبيائهم في الجهاد بعد تخاذل بعض المسلمين في غزوة أحد، غلب على الخطاب أسلوب التعريض، حفاظا على مشاعر المسلمين المذنبين .

٤ـ في سياق أخذ المواثيق على بني إسرائيل ، غلب على الخطاب التأكيد، بمختلف أدواته وأساليبه .

٥ـ في سياق رفع الجناح عن المسلمين في شربهم الخمر قبل تحريمها، غلب على الخطاب التكرار اللفظي .

المراجع

ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني . القاهرة . ط. الأولى ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) تح/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م }.

ـ أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تح : محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٤٠٥هـ.

ـ أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت٥٤٣هـ) تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

ـ أحلى عشرين قصيدة في الحب الإلهي لفاروق شوشة ، دار الشروق، ط. الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

ـ أساس البلاغة للزمخشري {الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط. الثالثة . ١٩٨٥م }

ـ أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ). تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الإصلاح – الدمام .ط. الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م .

ـ الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم بن عيد الهلالي (و) محمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية .ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ .

ـ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب لعباس محمود العقاد.(د. ت)

ـ الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، دراسة نظرية تطبيقية د/ عبد الحميد أحمد هنداوي، عالم الكتب الحديث ،إربد، الأردن ،ط. الأولى . ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .

ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي – بيروت . ط. الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.

ـ أوضح المسالك إلى ألفية إبن مالك لابن هشام الأنصاري، دار الجيل – بيروت . ط. الخامسة ، ١٩٧٩م .

ـ الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين أبي عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم – بيروت .ط.الرابعة ، ١٩٩٨م .

ـ البحر المحيط : لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تح صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت، طبعة: ١٤٢٠ هـ.

ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ) تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان {القاهرة ، ١٤١٩ هـ}.

ـ البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تح /محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ط: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.

ـ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تح /محمد علي النجار .المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

ـ البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت١٤٢٥هـ) دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

ـ البلاغة الواضحة لعلى الجارم، ومصطفى أمين ، دار قباء الحديثة . القاهرة . ٢٠٠٧م.

ـ بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (٣٨٨هـ)، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح /محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام .دار المعارف بمصر.ط . الثالثة، ١٩٧٦م.

ـ تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) تح: الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي، بيروت .ط. الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

ـ تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري شمس تح : د.أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان – الأردن / عمان.ط. الأولى – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

ـ التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد . لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤م.

ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت .

ـ التَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) ،عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. اط الأولى، ١٤٣٠ هـ.

ـ تفسير الراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) تح/ د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى ،ط. الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

ـ تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تح / محمود حسن. دار الفكر. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج .د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق . ط : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

ـ التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي. تح/ د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق .الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي .تح : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة .ط : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .

ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ) تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة . ط: الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

ـ جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جريرأبي جعفر الطبري . تح /أحمد محمد شاكر .مؤسسة الرسالة .ط .الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

ـ الجنى الداني في حروف المعاني لبدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ) تح: د/ فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .ط. الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

ـ حجة القراءات لأبي زرعة عبدالله بن محمد بن زنجلة (ت حوالي ٤٠٣هـ) تح/ سعيد الأفغاني ،دار الرسالة . بيروت .ط. الخامسة ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م.

ـ الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه، (ت ٣٧٠هـ) تح د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق . بيروت . ط: الرابعة، ١٤٠١هـ .

ـ الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) تح :عبد السلام محمد هارون، دار الجيل. بيروت. لبنان ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

ـ خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت: ٨٣٧هـ) تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال– بيروت، دار البحار– بيروت ٢٠٠٤م.

ـ الخصائص لابن جني تح/ محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة ، للكتاب ،ط، الثالثة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ خصائص الحروف العربية ومعانيها لحسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب . ١٩٩٨م.

ـ الخطاب القرآني وأنواعه ، دراسة بلاغية د/ خالد داد ملك ،ص ٦٠ جامعة بنجاب لاهور ، باكستان ، عدد ٢٢ سنة ٢٠١٥.

ـ دراسات في علم اللغة الحديث ص ٨٧ { مطبعة الأفصى . الطبعة الأولى، ٢٠١١م}

ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٤ هـ) تصدير :محمود محمد شاكر. دار الحديث، القاهرة.

ـ دلائل الإعجاز ، تح / محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع سنة ٢٠٠٠م .

ـ دلائل النبوة لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) تح/ د. عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث .ط.الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

ـ دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/ عبد الفتاح البركاوي، دار المنار بالقاهرة . ط. الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

ـ ديوان بشار بن برد تح/محمد الطاهر بن عاشور ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٦هـ .١٩٥٧م .

ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام: أحمد بن عبد النور المالقي (٧٠٢هـ) تح/ أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

ـ زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

ـ سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني تح : د.حسن هنداوي ج، دار القلم – دمشق .الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م .

ـ سنن أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

ـ سنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي تح/ أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـ شرح المفصل لموفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ) قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

ـ الصاحبي لابن فارس تح/ السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة ١٩٧٧م.

ـ الصحاح،(تاج اللغة وصحاح العربية) لإسماعيل بن حماد الجوهري.تح: أحمد عبد الغفور عطار . دار العلم للملايين. بيروت .ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .

ـ صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تح/ د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت .الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

ـ صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم د/ محمود توفيق محمد سعد ، مطبعة الأمانة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

ـ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لأحمد بن علي بن عبد الكافي أبي حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) تح: الدكتور عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .ط. الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

ـ علم اللغة الاجتماعي د/ محمد حسن عبد العزيز مكتبة الآداب . القاهرة ٢٠٠٩م .

ـ علم اللغة بين القديم والحديث، د/ عاطف مدكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٦م.

ـ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي.د/ محمود السعران، دار الفكر العربي، ط.الثانية. القاهرة ١٩٩٧م .

ـ علم اللغة النفسي د/ عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي . ط. الأولى : ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

ـ علم النفس اللغوي د/ نوال محمد عطية . ص ١٥ { مكتبة الأنجلو المصرية ط. الأولى ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م }.

ـ العين للخليل بن أحمد الفراهيدى (١٧٥هـ) تح / د / مهدى المخزومى. د/ إبـــراهيم الســـامرائى .تـــص / ا / أســـعد الطيـــب . انتشـــارات أســـوة .ط.الأولى،١٤١٤هـ.

ـ فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) تح/ خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري،المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا بَيروت. ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م

ـ فضائل القرآن لأَبُي العَبَّاسِ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنُ المُعْتَزِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ المُسْتَغْفِرِ بنِ الفَتْحِ بنِ إِدْرِيْسَ المُسْتَغْفِرِيُّ، النَّسَفِيُّ (ت: ٤٣٢هـ) تح: أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم .ط. الأولى ، ٢٠٠٨ م.

ـ في علم اللغة العام د/ عبد العزيز علام، مكتبة المتنبي . الدمام .المملكة العربية السعودية . ط. الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر تح/ عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي . القاهرة، ط. الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي تح/ : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت . الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .

ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (٤٢٧هـ) تح/ الإمام / أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان . ط. الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م .

ـ اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ) تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان . ط. الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

ـ مباحث في علوم القرآن لمناع بن خليل القطان (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .ط. الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

ـ مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري .تح : محمد محيى الدين عبد الحميد {دار المعرفة – بيروت}.

ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تأليف أبي الفتح عثمان ابن جني، تح/ على النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

ـ المحررالوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) .تح /عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت. ط. الأولى – ١٤٢٢هـ .

ـ المحكم والمحيط الأعظم لأبى الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ) تح / عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية .بيروت سنة ٢٠٠٠م.

ـ مختار الصحاح لزين الدين بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (٦٦٦هـ) تح/ يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية ، بيروت صيدا ، ط الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل لعبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ) تح يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت .ط: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م .

ـ المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ) تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت.ط.الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل .تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين مؤسسة الرسالة. الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

ـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

ـ مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف، الرياض . ط: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري للفيومي (٧٧٠) ، المطبعة الأميرية . بالقاهرة . ط . السابعة ١٩٣٨م .

ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن ،لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، تح/ محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع. ط: الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

ـ معاني القرآن للنحاس تح محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المكرمة ط: الأولى، ١٤٠٩هـ .

ـ معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن .ط . الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

ـ معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط، الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

ـ معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تح: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي .ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

ـ المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط. الثالثة .

ـ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت . ط: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

ـ المواهب الربانية من الآيات القرآنية للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تح /عمرو بن عبدالله بن محمد المقبل ، مركز تدبر للدراسات والاستشارات . الرياض . ط. الأولى ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م .

ـ الموسوعة القرآنية، خصائص السور لجعفر شرف الدين، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت .الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ.

ـ النحو الوافي لعباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ) ، دار المعارف .ط . الخامسة عشرة .

ـ النشر في القراءات العشر، دار اكتب العلمية بيروت . لبنان .ط. الأولى .١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي تح/ عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت . ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

ـ النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصر تح : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان .

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير تح : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي . المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م